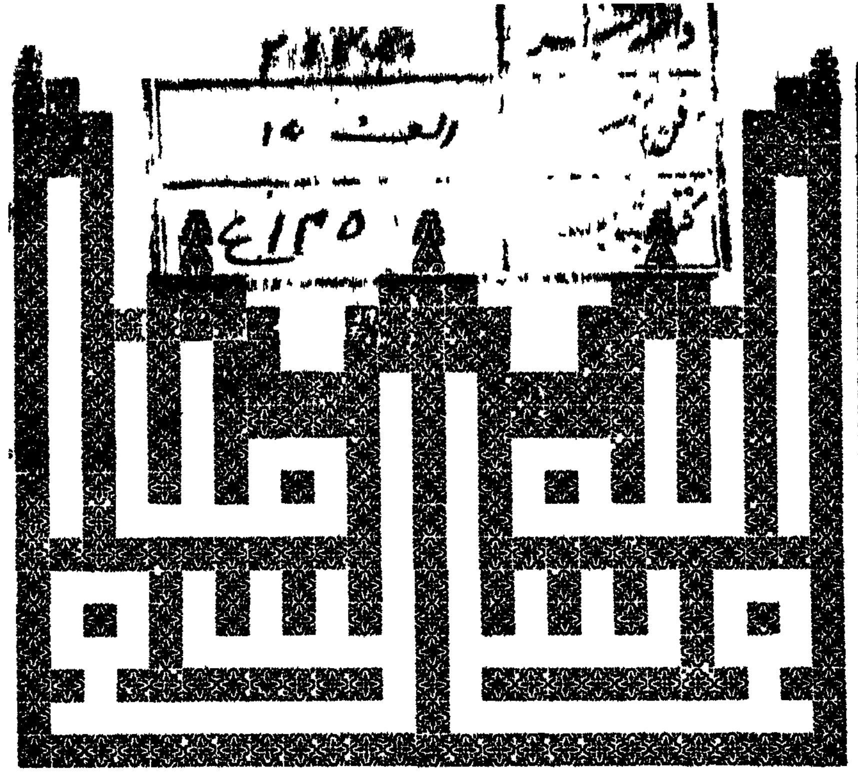


الجزء الثالث



﴿سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بأن لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ماكثين) حال من هم فى لهم (فيه) فى الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا)

ذكر

ذكر المنذرين دون المنذر به يعكس الاول استغناء بتقديم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه فى نفسه محال (ولا لآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التميز وفيه معنى التعجب كانه قيل ماأكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لايتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) مايقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وماتداخله من الاسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن والاسف المبالغة فى الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مايصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا ومايستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لانبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لاحصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب فى شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أى كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (اذ) أى اذكر اذ (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك (فضربنا على آذانهم فى الكهف) أى ضربنا عليها حجابا من النوم يعنى أنمناهم انامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أى تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فأما دراهم معدودة فهى على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أيقظناهم من النوم (لنعلم أى الحزبين)

المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لاحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدا وهو أي والمبتدا مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم وأحاط علما بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه إلها) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أي واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أي واذا عزلتم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق به أي ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاي كوفي تزور شامي تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه

والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ماصنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل مامر فى سبحان وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) أى من أضله فلا هادى له (وتحسبهم) بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى (بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لاعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم (ولملئت منهم) وبتشديد اللام حجازى للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامى وعلى وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد ان أدخل فقال ابن عباس رضى الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وماصنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) عدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان قدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم فى يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وبه استدل ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال فى الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا فى جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قال ربكم أعلم بما

لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصار واسبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم أي عليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هذه الى المدينة) هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فحذف كما في واسئل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (انهم) راجع الى الاهل المقدر في أيها (ان يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة (أو يعيدوكم في ملتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أي ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم أبدا (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا أي اعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد [illegible] الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد القول الخائضين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روي ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني اني احب أحباء الله فناموا وانا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على

دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير فى سيقولون لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل فى الاول دون الآخرين فهما داخلان فى حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا وأريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له ثلاثة خبر مبتدا محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اى يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما

رجم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربى أعلم بعدتهم) أى قل ربى أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم (مايعلمهم الاقليل) قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل الاقليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولاعلم بذلك الا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلاتمار فيهم) فلاتجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف (الامراءظاهرا) الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولاتزيد من غير تجهيل لهم أو يشهد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولاتسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ماعنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بان أوحى اليك قصتهم (ولاتقولن لشئ) لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الاأن يشاء الله) أن تقوله بان يأذن لك فيه أو ولاتقولنه الا بان يشاء الله أى الا بمشيئته وهو فى موضع الحال أى الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولاتقولن انى أفعل ذلك الا بمشيئة الله تعالى لان قول القائل أنا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لاأفعله الا بمشيئة الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام فى مجلس الذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلايصح الا متصلا وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه باخراجه من عنده أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا فى البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها أو اذا نسيت شيأ فاذكره ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا) يعنى اذا نسيت شيأ فاذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى أن يهدينى لشئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه رشدا أو أدنى خيرا ومنفعة أن يهدين ان ترن أن يؤتين أن تعلمن مكى فى الحالين ووافقه أبو عمرو ومدنى فى الوصل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا

(وازدادوا تسعا) أى تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد تقتضي مفعولين فازداد يقتضي مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى أى هم لبثوا فى كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب فى السموات والارض وخفى فيهما من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أى وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) من متول لامورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهى شامى كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أى من القرآن ولا تسمع لما يهزؤن به من طلب التبديل فانه (لا مبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسها معهم وثبتها (بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصير أو هما صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامى (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا فى قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدا محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافرين فقيد بالسياق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وبين جزاء من

اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم ولك أن تجعل انا لانضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام من أحسن مقام الضمير (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من للابتداء وتنكير أساور وهي جمع اسورة التى هي جمع سوار لابهام أمرها فى الحسن (من ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متكئين فيها على الارائك) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقا) متكا (واضرب لهم مثلا رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر أرضا بألف دينار فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم انى أشترى منك دارا فى الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم انى جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله (جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب) بساتين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت) أعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيأ وفجرنا خلالهما نهرا) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجارى فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثره أى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا)

انصارا

أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى
جنتيه أوسماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجارى بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها
بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أى أن تهلك هذه الجنة شك فى بيدودة جنته لطول
أمله وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم
بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا) اقسام
منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من
جنته فى الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تمييز أى مرجعا وعاقبة (قال له
صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك لان خلق أصله
سبب فى خلقه وكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) أى خلقك من نطفة (ثم سواك رجلا)
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه فى البعث (لكنا) بالالف
فى الوصل شامى الباقون بغير ألف و بالالف فى الوقف اتفاق وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة
وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الاولى فى الثانية بعد أن سكنت
(هو الله ربى) هو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها اليه ياء الضمير
وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد
غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربى أحدا
ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر
مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعنى
أى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء
الله اعترافا بأنها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان
شاء خربها (لا قوة إلا بالله) اقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته
وتأييده من قرأ (ان ترنى أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو
الكسائى جعله مبتدا وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة لمن
فسر النفر بالاولاد فى قوله وأعز نفرا (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى
العقبى (ويرسل عليها حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق
عليها لملاستها (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا أى ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طلبا)
ولا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن
يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب بساتينك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو
لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك (فأصبح) أى الكافر
(يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية
عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف

والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لولم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أوهنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لاوليائه أوهنالك اشارة الى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلي صفة للولاية أو خبر مبتدأ محذوف اي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة و بضمهما غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) أي هو كماء أنزلناه (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشيما) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلي (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) قادرا شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لازاد القبر وعدة العقبى (والباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لانه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكي وشامي وأبو عمرو أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم نغادر منهم أحدا) أي فلم نترك غادره أي تركه

ومنه

ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ماغادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين
ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل
النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو
جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا وإنما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم
قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من
البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة (ووضع الكتاب) أي صحف الاعمال (فترى
المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب
لايغادر صغيرة ولا كبيرة) أي لايترك شيأ من المعاصي (الا أحصاها) حصرها وضبطها
(ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب
عليه مالم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود
تحية أو سجود انقياد (فسجدوا الا إبليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قائلا قال ماله
لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره ربه به من السجود
وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للانكار
والتعجب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتستبدلونهم
بي ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والأعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب
[illegible] يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم
عدو) أعداء (بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل
طاعة الله (ما أشهدتهم) أي إبليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم
اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى
مشاركتهم في الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها أو
أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فأفردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا
أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) أي وما
كنت متخذهم (عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم
يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار
وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) أنهم فيكم شركائي ليمنعوكم
من عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كالموعد أي وجعلنا
بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا
أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في

قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) تمييز أى أكثر الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعنى ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شئ (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أى سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) أن الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب أى عذاب الآخرة (قبلا) كوفى أى أنواعا جمع قبيل الباقون قبلا أى عيانا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتى) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف أى وما أنذروه من العقاب أو مصدرية أى وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاى والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاى والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا فى قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى ما قدمت يداه) عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان المسئ والمحسن لابد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لا أدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) أى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر

اللام

اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أي لوقت هلاكهم أولهلاكهم والموعد وقت أو مصدر (واذ) واذكر اذ (قال موسى لفتاه) هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم (لاأبرح) لاأزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانى فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم وسمى خضرا لانه أينما يصلى يخضر ما حوله (أوأمضى حقبا) أوأسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أوترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا (فلما بلغا مجمع بينهما) لمجمع البحرين (نسيا حوتهما) أى نسى [illegible] وحده لانه كان صاحب الزاد دليله فانى نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء (فاتخذ سبيله فى البحر) أى اتخذ طريقا له من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) هى موضع الموعد (فانى نسيت الحوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر فى القلب (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) وهو ان أثره بقى الى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب وبالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل وبغير ياء فيهما غيرهم اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علامة على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدا عبدا [illegible]) [illegible]

من عندنا) هي الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعني الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) أي علما ذا رشد أرشد به في ديني رشدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال انك لن تستطيع معي) وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تمييز نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا أعصي لك أمرا) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو هو عطف على ستجدني ولا محل له (قال فان اتبعتني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا (عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) أي فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيأ وقد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجه صحته فانكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم (قال أخرقتها لتغرق أهلها) ليغرق حمزة وعلي من غرق (لقد جئت شيأ امرا) أتيت شيأ عظيما من أمر الامر اذا عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمري عسرا) رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية حجازي وأبو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت أو لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) اي لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيأ نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر وهو المنكر وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك هنا لان النكر فيه أكثر (قال ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) أعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق ولدنى بتخفيف النون مدنى وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى انطاكية أو الايلة وهى أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) استضافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فوجدا فيها) فى القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فأقامه) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أى لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الدال بصرى وباظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ (قال هذا فراق بينى وبينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرئ به فأضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) أى يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فاردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب [illegible] فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم للعناية (وأما الغلام) وكان [illegible] الحسين (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا أن يغشى الوالدين [illegible] طغيانا عليهما وكفر النعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يعديهما دائه و [illegible] وهو من كلام الخضر [illegible]

منه ذلك لانه تعالى أعلمه [illegible]

[illegible] ان عاش [illegible]

عمرو (خيرا منه زكاة) طهارة ونقاء من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطفا وزكاة ورحما تمييز روى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا أو سبعين نبيا أو أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحما شامي وهما لغتان (وأما الجدار فكان لغلامين) أصرم وصريم (يتيمين في المدينة) هي القرية المذكورة (وكان تحته كنز لهما) أي لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله الا الله محمد رسول الله أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والاول أظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا (وكان أبوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يصحبني وعن الحسين بن على رضى الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بارادربك لانه في معنى رحمهما (من ربك وما فعلته) وما فعلت مارأيت (عن أمري) عن اجتهادي وانما فعلته بأمر الله والهاء تعود الى الكل أو الى الجدار (ذلك) أي الاجوبة الثلاثة (تأويل مالم تسطع عليه صبرا) حذف التاء تخفيفا وقد زل اقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولى على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب أن الخضر نبي وان لم يكن كازعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى ابن ماثان ومن المحال أن يكون الولى وليا الا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولى ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر أولا فاردت لانه [illegible] وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (ويسئلونك) أي اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل واشياعه (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن على رضى الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان أو انقرض في وقته قرنان من الناس أو لانه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه [illegible]

القرنين أوكان كريم الطرفين أباوأماوكان من الروم (قل سأتلوا عليكم منه) من ذى القرنين
(ذكرا انامكناله فى الارض) جعلناله فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شئ) أراده من
اغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقاموصلا اليه (فأتبع سببا) والسبب مايتوصل به الى
المقصود من علم أوقدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد
المشرق فاتبع سبباوأراد بلوغ السدين فاتبع سببافأتبع ثم أتبع كوفى وشامى الباقون
بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعى اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ
مغرب الشمس) أى منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره
انه وجد فى الكتب ان أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير فى طلبها
والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدها تغرب فى عين حمئة)
ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة حامية شامى وكوفى غير حفص يعنى حارة وعن
أبى ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال
أتدرى ياأباذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب فى عين حمئة وكان ابن
عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية
لعبد الله بن عمر كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله
عنهما ولا تنافى فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين
(قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالفظ البحر وكانوا كفارا (قلنا ياذا
القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والا فقد
أوحى الى نبى فامره النبى به أوكان الهاما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم
وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن
الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين (أما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل (ثم
يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) فى القيامة يعنى أما من دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على
الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب فى الدارين (وأما من آمن وعمل صالحا) أى عمل
مايقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء
الحسنى كوفى غير أبى بكر أى فله الفعلة الحسنى جزاء (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى ذا يسر
أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع
سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) من
دون الشمس (سترا) أى أبنية عن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من
لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) [illegible]
[illegible] ذى القرنين كذلك أى كما [illegible]

وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لان فى أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وأبو عمرو وحفص السدين وسدا حمزة وعلى و بضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على أنه مفعول به لبلغ كما انجر بالاضافة فى هذا فراق بينى و بينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أى لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلى أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا حمزة وعلى أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكنى) بالادغام وبفكه مكى (فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى اليه (فأعينونى بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد (آتونى زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحتين جانبى الجبلين لانهما يتصادفان أى يتقابلان الصدفين مكى و بصرى وشامى الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أى قال ذو القرنين للعملة انفخوا فى الحديد (حتى اذا جعله) أى المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتونى) أعطونى (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه قال ائتونى بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف أى جيئونى (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما

استطاعوا له نقبا) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربى) أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربى) فاذا دنى مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتى (جعله) أى السد (دكا) أى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفى أى أرضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) آخر قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (فى بعض) أى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها أو عن القرآن وأذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أى وكانوا صما عنه الا أنه أبلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أى أفظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل ان بصلتها سد مسد مفعولى أفحسب وعبادى أولياء مفعولا أن يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لا يكونون لهم أولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) أعمالا تمييز وانما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الاهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) تحولا الى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نفى التحول وتأكيد الخلود (قل لو كان البحر) أى ماء البحر (مدادا لكلمات ربى) قال [illegible] ... أى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد [illegible]

ربي ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحيى منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

﴿ سورة مريم عليها السلام مكية وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدني وشامي ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(كهيعص) قال السدي هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبر مبتدأ أي هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر حمزة وعلي وحفص وبدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (اني وهن العظم مني) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أي فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى ان أصل الكلام يا رب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل

وأقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه انى وهنت العظام منى ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه انى وهن العظم منى لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى أبلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف فى طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس منى شيبا لما مر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أى بدعائى اياك (رب شقيا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى حاجته (وانى خفت الموالى) هم عصبته اخوته و بنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين (من ورائى) بعد موتى و بالقصر وفتح الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى (وكانت امرأتى عاقرا) عقيما لا تلد (فهب لى من لدنك) اختراعا منك بلا سبب لان امرأتى لا تصلح للولادة (وليا) ابنا يلى أمرك بعدى (يرثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا أى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث و بجزمهما أبو عمرو وعلى على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق (واجعله رب رضيا) مرضيا ترضاه أو راضيا عنك و بحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) تولى الله تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته تلك الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود

اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبير بن سهل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حبل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح مابك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بازائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بازائها من الايام عرفا (فخرج على قومه من المحراب) من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فاوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يايحيى) أى وهبناله يحيى وقلناله بعد ولادته وأوان الخطاب يايحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صبيا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ماللعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلاحا فلم يعمد بذنب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبرا بوالديه) وبارا بهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتانى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (واذكر) يامحمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ماجرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على مافيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فأرسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا لان الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب امرد وضئ الوجه جعد الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى منك ان تتقى الله فانى عائذة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك) أمنها مما خافت وأخبر انه ليس بآدمى بل هو

رسول

رسول من استعاذت به (لاهب لك) باذن الله تعالى أو لا كون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت أنى) كيف (يكون لى غلام) ابن (ولم يمسسنى بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تبغى الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغى فعول عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فى امرأة صبور وشكور وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا وسفاحا (قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهانا على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا فى اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) اى الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة أو عشرا أو عشرين (فانتبذت به) اعتزلت وهو فى بطنها والجار والمجرور فى موضع الحال عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته فى ساعة ووضعته فى ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة (فأجاءها) جاء بها وقيل ألجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كانه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أى طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم مدنى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشئ الذى حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أى الذى تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها أو عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدنى وكوفى سوى أبى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء فى تحتها للنخلة ولشدة مالقيت سليت بقوله (أن لا تحزنى) لا تهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى أى (قد جعل ربك تحتك) بقربك أو تحت أمرك ان أمرته أن يجرى جرى وان أمرته أن يقف وقف (سريا) نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبى صلى الله

عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعني عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنه ماضرب عيسى أوجبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس واخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزى) حركي (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي هزي جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى في الثانية مكي ومدني وشامي وأبو عمرو وعلي وأبو بكر والاصل تتساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قرآت (رطبا) تمييز أومفعول به على حسب القراءة (جنيا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل (فكلي) من الجنى (واشربي) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى وعينا تمييز أي طيبي نفسا بعيسى وارفضي عنك ما أحزنك (فاما) أصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما) أي فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولي اني نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما أمرت أن تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض وانما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر في وصف القبور ☆وتكلمت عن أوجه تبلى☆ وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أوسوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا (فأتت به) بعيسى (قومها) بعد ما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أي أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقد جئت شيأفريا) بديعا عجيبا والفرى القطع كأنه يقطع العادة (ياأخت هرون) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني اسرائيل أوهو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال ياأخا همدان أي ياواحدا منهم أورجل صالح أوطالح في زمانها شبهوها به في الصلاح أوشتموها به (ما كان أبوك) عمران (امرأسوء) زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) زانية (فأشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لاتحزني وأحيلي بالجواب علي وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا و (قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (في المهد) المعهود (صبيا)

حال

حال (قال انی عبد الله) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتی اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روی انه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع انی عبد الله وفيه رد لقول النصاری (آتانی الكتاب) الانجيل (وجعلنی نبيا) روی عن الحسن انه كان فی المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق فی قضائه أو جعل الآتی لا محالة كأنه وجد (وجعلنی مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصانی) وأمرنی (بالصلوة والزكوة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصانی بأن آمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب على الظرف أی مدة حياتی (وبرا بوالدتی) عطفا على مباركا أی بارا بها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلنی جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام علی يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو علی (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أی ذلك السلام الموجه الی يحيی فی المواطن الثلاثة موجه الی ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنی وجنس السلام علی وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام علی فقد عرض بأن ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض (ذلك) مبتدأ (عيسی) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان أی ذلك الذی قال انی كذا وكذا عيسی ابن مريم لا كما قالت النصاری انه إله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة أب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من عيسی ونصبه شامی وعاصم على المدح أو على المصدر أی أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإله كما يدعونه (الذی فيه يمترون) يشكون من المرية الشك أو يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصاری ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغی له (أن يتخذ من ولد) جیء بمن لتأكيد النفی (سبحانه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا قضی أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامی أی كما قال لعيسی كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربی وربكم فاعبدوه) بالكسر شامی وكوفی على الابتداء وهو من كلام عيسی يعنی كما انا عبده فأنتم عبيده علی وعليكم أن نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة أی وأوصانی بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربی وربكم أو علقه بما بعده أی ولأن الله ربی وربكم فاعبدوه (هذا) الذی ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيأ (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصاری اختلفوا فی عيسی حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا الی قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور وملكان فقال يعقوب هو الله هبط الی الارض ثم صعد الی السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان [illegible] نبيا فتبع

كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أومن شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أومن شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر أومن مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ماشهدوا به في عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على ان لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كما كرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام المضمر أى لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم (وأنذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على مافات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم في الجنة ان لو آمنوا (اذ) بدل من يوم الحسرة أوظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون به وهم وهم حالان أى وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أى نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذكر) لقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أى كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ماهو بدل منه وهو (اذ قال) وجاز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله (لابيه ياأبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال ياأبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز أن يقدر أى لا يسمع شيأ ولا يبصر شيأ (ولا يغنى عنك شيأ) يحتمل أن يكون شيأ في موضع المصدر أى شيأ من الاغناء وأن يكون مفعولا به من قولك أغن عني وجهك أى بعد (ياأبت انى قد جاءني من العلم) الوحى أو معرفة الرب (مالم يأتك)

مافى مالايسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعنى أهدك) أرشدك (صراطا سويا) مستقيما (ياأبت لاتعبد الشيطان) لاتطعه فيما سول من عبادة الصنم (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا (ياأبت انى أخاف) قيل أعلم (أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر ففى الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لايسمع ذكر عابده ولايرى هيا ت عبادته ولايرفع عنه بلاء ولايقضى له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى شيأ من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة ومايجره ماهو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف ان يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال انى أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه وصدر كل نصيحة بقوله ياأبت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا ثم (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ياأبت ببابنى وقدم الخبر على المبتدا لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لأرجمنك) لأقتلنك بالرجام أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك (واهجرنى) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى (مليا) ظرف أى زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للاسلام (انه كان بى حفيا) ملطفا بعموم النعم أو رحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل الى الشام (وماتدعون من دون الله) أى ماتعبدون من أصنامكم (وأدعوا) واعبد (ربى) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لاأكون بدعاء ربى شقيا) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أى لما ترك الكفار

الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عزوجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أي من ناحية اليمين والجمهور على ان المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وباهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكانه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا منذرا (وكان يأمر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر في الكتاب ادريس) هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لا شئ أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت أذقني الموت يهن علي ففعل ذلك باذن الله فحيي وقال أدخلني النار أزدد رهبة ففعل ثم قال أدخلني الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عزوجل باذني فعل وباذني دخل فدعه (أولئك) اشارة الى المذكورين في السورة من زكرياء الى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم)

من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبي نوح (وممن حملنا مع نوح) ابراهيم من ذريته من حمل مع نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته (وممن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لمحاسن الاسلام (واجتبينا) من الانام أولشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر الاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الاعلى ثلاثا (فخلف من بعدهم) فجاء من بعد هؤلاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الا من تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد ايمانه (فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيأ) أي لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيأ من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن او ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأتيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها (الا سلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل

ولا نهار ثم لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل الا بأمر ربك) والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول أليق هنا يعني أن نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان الى مكان الا بامر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا أن نتقلب في ملكوته الا اذا أذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدا محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فاثبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافاة الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أي اذا صح أن لا معبود توجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فنهافت أبي بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو ابعث أي اذا مامت أبعث وانتصابه باخرج ممتنع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكانه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم (أولا يذكر الانسان) خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبي فادغمت التاء في الذال أي أولا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود وأما الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أنا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة

بقائه (ولم يك شيأ) هو دليل على ما بيناه وعلى أن المعدوم ليس بشيء خلافاً للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي إقسام الله باسمه مضافاً الى رسوله تفخيم لشأن رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه فعول لان اصله جثو وكسجود وساجد أي يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم (ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجوراً أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه أيهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز أي دخولا والباء تتعلق بأولى (وان منكم) أحد (الا واردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم

٥ ـ نسفي ـ اث

نجي) وعلي بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (بينات) ظاهرات الاعجاز أو حججا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم (للذين آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أي الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لابهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثاثا) هو متاع البيت أو ما جد من الفرش (ورئيا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الري الذي هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أي من كفر مده الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا ما يوعدون) هي متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول الى أن يشاهدوا الموعود رأي عين (اما العذاب) في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر (واما الساعة) أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وأنصارا أي فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هي التي يحكى بعدها الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موضع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان

الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) اى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) ثم وبضم الواو وسكون اللام فى اربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة اى أنظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا ان يؤتيه ذلك او العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة فانا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطا وهو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه (سنكتب مايقول) اى قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وهو كقوله * اذا ماانتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى علم وتبين بالانتساب أنى لست بابن لئيمة (ونمدله من العذاب) نزيده من العذاب كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه مايقول) اى نزوى عنه مازعم انه يناله فى الآخرة والمعنى مسمى مايقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال اى بلامال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدى عليه تمنيه وتألبه (واتخذوا من دون الله آلهة) اى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة اى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ماعبدتمونا وأنتم كاذبون اوللمشركين اى ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) اى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه اى يكونون عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اى أعداؤهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) اى خليناهم واياهم من أرسلت البعير أطلقته اوسلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم أزا) تغريهم على المعاصى اغراء والاز والهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) اى اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء [illegible] عنده

المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالا يوصف أى اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم مساقون الى النار كأنهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ إدا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر أثقلنى وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (ينفطرن) وبالنون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أى مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحله جر بدل من الهاء فى منه او نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغى اذ طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة

ومجانسة وهو منزه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده
لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت
وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن
استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر
كل (الا آتي الرحمن) ووحد آتي وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل
اى يأتيه (عبدا) حال أي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض
من الملائكة والناس الا هو يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان
حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض
ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم
عدا) أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتيه يوم
القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا) مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم الى الناس وفي الحديث يعطى
المؤمن مِقَةً في قلوب الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا
أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء
(فانما يسرناه) سهلناه القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر
به قوما لدا) شدادا في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل لديد أي شق من المراء
والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل
تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع
لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني
هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن
عليك أمرهم والله أعلم

﴿سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه﴾

فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر وفخمهما على
الاصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يا رجل فان
صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن) ان جعلت
طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا
عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر أوقع موقع المضمر لانها قرآن وان يكون جوابا لها
وهي قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا [illegible]
وقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال [illegible] على
نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة [illegible]

(الا تذكرة) استثناء منقطع أى لكن انزلناه تذكرة أو حال (لمن يخشى) لمن يخاف
الله أو لمن يؤول امره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز ان ينتصب
بنزل مضمرا أو على المدح أو بيخشى مفعولا به أى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (ممن
خلق الارض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى ووصف
السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن
(على العرش) خبر مبتدا محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش
وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما
يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أى ملك وان لم
يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أى جواد وان لم يكن له يد رأسا
والمذهب قول على رضى الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به
واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير
عما كان (له ما فى السموات وما فى الارض) خبر ومبتدأ أو معطوف (وما بينهما) أى
ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين أو هو الصخرة التى تحت الارض
السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما أسررته الى غيرك (وأخفى)
منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك وما ستسره فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى) أى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردلقولهم انك تدعوا آلهة حين
سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) أى وقد (أتاك حديث موسى) خبره
قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره وينال
الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أى حين رأى (نارا) كان كيت
وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج الى امه
وخرج باهله وولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا)
اقيموا فى مكانكم (انى آنست) ابصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلى
آتيكم منها) بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس
فى رأس عود او فتيلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى او قوما يهدوننى الطريق ومعنى
الاستعلاء فى على النار ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها (فلما أتاها) أى النار
وجد نارا بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج
ولم يجد عندها أحدا وروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثم (نودى) موسى
(ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودى فقيل ياموسى انى أو لان النداء ضرب من القول
فعومل معاملته وبالفتح مكى وأبو عمرو أى نودى بانى (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أو
فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال من المتكلم

فقال الله عزوجل أنا ربك فعرف أنه كلام الله عزوجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس أو لانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما والقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان منونا شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وإنا اخترناك حمزة (فاستمع لما يوحى) اليك للذي يوحى أو للوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (انني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) وحدني وأطعني (وأقم الصلوة لذكري) لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء أو لذكري خاصة لاتشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذاكرا غير ناس أو لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي وهذا دليل على انه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها (ان الساعة آتية) لا محالة (أكاد) أريد عن الاخفش وقيل صلة (أخفيها) قيل هو من الاضداد أي أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) في مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك ياموسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهي بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهول انقلابها حية أو للايناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هي عصاي أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمي) أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل (ولي فيها) حفص (مآرب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس أخر وانما قال أخرى ردا الى الجماعة أو لنسق الآي وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجمل الباقي حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها انضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم [illegible] او لانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هي عصاي قيل له ما تصنع بها [illegible] (قال

ألقها ياموسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن الا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب (فالقاها) فطرحها (فاذا هي حية تسعى) تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآها تبتلع كل شيء خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أو لانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا ولما (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فمها واخذ بلحييها (سنعيدها) سنردها (سيرتها الاولى) تأنيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الاولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلها تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الام (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف أمرا عظيما يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه لتحمل الوحي والمشاق وردىء الاخلاق من فرعون وجنده (ويسر لي أمري) وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لي صدري آكد من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لي ويسر لي علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لساني) وكان في لسانه رتة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نارا وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها ومن لساني صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بانه لم تزل

العقدة

العقدة بكمالها أو أكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا) ظهيرا أعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في أموره أو معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول أول لاجعل والثاني (من أهلي) أولي وزيرا مفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بامر الوزارة (أشدد به أزري) قوبه ظهري وقيل الازر القوة (وأشركه في أمري) اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد وأشركه على حكاية النفس شامي على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كي نسبحك) نصلي لك وننزهك تسبيحا (كثيرا ونذكرك كثيرا) في الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) أعطيت مسؤلك فالسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز سولك بلا همز أبو عمرو (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) كرة (أخرى) قبل هذه ثم فسرها فقال (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) الهاما أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك واذ ظرف لمننا ثم فسر ما يوحى بقوله (أن اقذفيه) القيه (في التابوت) وان مفسرة لان الوحي بمعنى القول (فاقذفيه في اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمي ساحلا لان الماء يسحله أي يقشره والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار أي يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضي الى تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت روى أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبي أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله (وألقيت عليك محبة مني) يتعلق مني بالقيت يعني اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فما رآه أحد الا أحبه قال قتادة كان في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عيني) أي لتربى بمرأى مني وأصله من صنع الفرس أي أحسن القيام عليه يعني انا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على انه امر مدة (اذ تمشي) بدل من اذ أوحينا لان مشي اخته كان منة عليه (اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله) روى أن اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه واردت بذلك المرضعة الام وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم)

من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أوجمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمانى عشرة سنة بعدها حتى ولدله أولاد (ثم جئت على قدر ياموسى) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى قال الزجاج اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى و بين خلقى كانى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكرى) أى اتخذا ذكرى جناحا تطيران به أو اريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) ألطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى أوكنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أوعداه شبابا لايهرم بعده وملكا لاينزع عنه الابالموت أوهو قوله هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ و يتأمل فيذعن للحق (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الامر كما نصفان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لايتذكر لان الترجى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشى وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لايقطع أمرا دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الاله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربى الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أى عجل (أوأن يطغى) يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال لاتخافا اننى معكما) أى حافظكما وناصركما (أسمع) أقوالكما (وأرى) أفعالكما قال ابن عباس رضى الله عنهما أسمع دعاءكما فاجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهتما (فأتياه) أى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بنى اسرائيل) أى اطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك

مجرى البيان والتفسير والتفصيل لان دعوى الرسالة لاتثبت الا ببينتها وهي المجيء بالآي فقال فرعون وماهي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انا قد أوحي الينا أن العذاب) في الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسل (وتولى) اعرض عن الايمان وهي أرجى آي القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء فاتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمرا به (قال فمن ربكما ياموسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولى أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى (قال فما بال القرون الاولى) فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربي) مبتدأ وخبر (في كتاب) أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيأ يقال ضللت الشيء اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذى) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) أي مطرا (فاخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فاخرجنا نحن بالحراثة والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للازواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي انها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان في ذلك) في الذى ذكرت (لآيات) لدلالات (لاولى النهى) لذوي العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور أو ينتهى اليها في

الامور (منها) من الارض (خلقناكم) أى أباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لان النطفة من الاغذية وهي من الارض (وفيها نعيدكم) اذا متم فدفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب و يردهم كما كانوا احياء و يخرجهم الى المحشر عـد د الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذا ماتوا (ولقد أريناه) أى فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فاى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعد والضمير فى (لانخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للوعد (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أى منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لامحاله فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمع فى موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا (ثم أتى) للموعد (قال لهم موسى) أى السحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) لاتدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) كوفى غير أبى بكر يهلككم وبفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهى (بعذاب عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لاتفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم وأسروا النجوى) أى تشاوروا فى السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان

لساحران)

لساحران) يعني موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا أي ما هذان الا ساحران دليله قراءة أبي ان ذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالالف أبدا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها

وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر

ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه

أي نعم والهاء للوقف وهذان مبتدأ وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدا المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدا قال

* خالي لانت ومن جرير خاله * قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو علي (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل وهو الافضل (فاجمعوا) فاحكموا اى اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجمعوا أبو عمرو ويعضده فجمع كيده (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب في صدور الرائين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أي السحرة (ياموسى اما أن تلقي) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) ما معنا وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم أولا ليبرز واما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها وخصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (يخيل) وبالتاء ابن ذكوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل الملقي روي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أوخاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) ...

أنت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذكران وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (وألق مافي يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف (ماصنعوا) زورا وافتعلوا أى اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها أى لاتحتفل بماصنعوا فان مافي يمينك أعظم منها أو تحقيرا أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذى في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفى غير عاصم سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أوهم لتوغلهم في السحر كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وماموصولة أومصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لاالى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألاترى الى قوله (ولايفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فلعظم مارأوا من الآية وقعوا الى السجود فذلك قوله (فالقى السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ماسجدوا كانهم القوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخر في الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لاتوجب ترتيبا (قال آمنتم) بغير مد حفص و بهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى و بهمزتين غيرهم (له قبل أن آذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أولمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لأقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينا أشد عذابا) انا على ايمانكم بى أو رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين (وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال * وعليهما مسرودتان قضاهما * أى صنعهما أو احكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أى انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما

أكرهتنا عليه) ماموصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لايموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما (يبسا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لاتخاف) حال من الضمير فى فاضرب أى اضرب لهم طريقا غير خائف لاتخف حمزة على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لايدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك (ولا تخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف أى وأنت لا تخشى أو يكون الالف للاطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ماغشيهم) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم مالا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يابنى اسرائيل) أى أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يابنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم) بايتاء الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفى غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا

النعم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ علي فيحل ويحلل والباقون بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك ياموسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلتك استفهام انكار ومامبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثري) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتنا قومك) ألقيناهم في فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) وعدوه أن يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعده باتخاذ العجل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم مدني وعاصم وبضمها حمزة وعلي وبكسرها غيرهم أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلي القبط أو أرادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان لنا غدا عيدا فقال السامري انما حبس موسى لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فأحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار

بدخول الريح فى مجارمنه أشباه العروق وقيل نفخ فيه ترابامن موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهوفرس حياة فخي فخار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى (فكذلك ألقى السامرى) مامعه من الحلى فى النار أومامعه من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتلاء (جسدا) مجسدا (له خوار) صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل (فقالوا) أى السامرى وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجاب عامتهم الاثنى عشر ألفا (فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أونسى السامرى الاستدلال على ان العجل لا يكون إلها بدليل قوله (أفلا يرون ان لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلها وقيل انه ماخار الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) كونوا على دينى الذى هو الحق (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامرى أم لا فلما رجع موسى (قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعنى) بالياء فى الوصل والوقف مكى ووافقه أبو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلا ياء أى مادعاك الى ان لا تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين الداعى الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أى شئ منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى أومامنعك ان تتبعنى فى الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا (أفعصيت أمرى) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة فى الله ملكته (قال يا ابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لأبيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترفيقا (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أوخفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) أخلفنى فى قومى وأصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم أقبل موسى على السامرى منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ماأمرك الذى تخاطب عليه (يا س[illegible] قال بصرت بما لم يبصروا به) وبالتاء حمزة وعلى قال الزجاج بصر علم وأبصر نظر أى [illegible] بما لم

يعلمه بنواسرائيل قال موسى وماذاك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره فما ألقيته على شئ الاصارله روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبصت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع (من أثر الرسول) اى من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها فى جوف العجل (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى) أن أفعله ففعلته اتباعا لهواى وهواعتراف بالخطا واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك فى الحيوة) ماعشت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لامساس) اى لايمسنى أحد ولاأمسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يماس أحدا حم الماس والممسوس وكان يهيم فى البرية يصيح لامساس ويقال ان ذلك موجود فى أولاده الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه (وان لك موعدا لن تخلفه) اى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك بذاك فى الدنيا لن تخلفه مكى وأبوعمرو وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه) واصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (فى اليم نسفا) فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما إلهكم الله الذى لاإله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز اى وسع علمه كل شئ ومحل الكاف فى (كذلك) نصب اى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ماقد سبق) من اخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك (وقد آتيناك) اى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن اقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من اعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره اولانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى انه حملا على لفظ من (فيه) فى الوزر اى فى جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ننفخ ابوعمرو (فى الصور) القرن اوهو جمع صورة اى ننفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال اى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون

(بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (ان لبثتم) ما لبثتم فى الدنيا (الا عشرا) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار أو لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لانها أبدا يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسئلونك عن الجبال) سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى ويسئلونك عن الروح قل الروح ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا لانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربى نسفا) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرها) فيذر مقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لاترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان فى المعانى كما ان المفتوح فى الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج وجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعانى (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال أى يوم اذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعى) الى المحشر أى صوت الداعى وهو اسرافيل حين ينادى على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والجلود الممزقة واللحوم المتفرقة هلمى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لا عوج له) أى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبة واجلالا (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أى أذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قولا لاجله بأن يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) أى [illegible]

الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس [illegible]

خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان (الوجوه) أى أصحابها (للحى) الذى لايموت وكل حياة يتعقبها الموت فهى كان لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يئس من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ولاظلم أشد من جعل المخلوق شريك من حلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلايخاف) أى فهو لايخاف فلايخف على النهى مكى (ظلما) أن يزاد فى سيأته (ولاهضما) ولاينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرا) عظة أو شرفا بايمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الافهام وتنزه عن مضاهاه الانام ومشابهة الاجسام (الملك) الذى يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق فى الالوهية ولما ذكر القرآن وإنزاله قال استطرادا واذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولاتعجل بالقرآن) بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدنى علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ماأمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ الافى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوصى اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه ان لايقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فخالف الى مانهى عنه كانهم يخالفون يعنى ان أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فنسى) العهد أى النهى والانبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لوتكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصدا الى الخلاف لامره أولم يكن آدم من أولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى نقيض العدم أى وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب باذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل أوكان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا الا ابليس) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولايتناسلون وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لايقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه اظهر الاباء وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم يرفضلك (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لاخراجكما (فتشقى) فتتعب فى طلب القوت ولم

يقل فتشقيا مراعاة لرؤس الآي أو دخلت تبعا أو لان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى انه أهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه (ان لك ان لا تجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لانها معدة أبدا فيها (وانك) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على أن لا تجوع ومحله نصب بان وجاز الفصل كما تقول ان في علمي انك جالس (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الاشربة فيها (ولا تضحى) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) أي انهى اليه الوسوسة كأسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فأكلا) أي آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع في أول الامر وكاد لدنومه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) ضل عن الرأي وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لان الغي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر (ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعني آدم وحواء (بعضكم) يا ذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين (فاما يأتينكم مني هدى) كتاب وشريعة (فمن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكري) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك [illegible] أنت ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي [illegible]

بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي (أفلم يهد لهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور في لهم (في مساكنهم) يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) لذوي العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وتعمد آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى علي وأبو بكر أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خير وأبقى) مما

رزقوا

رزقوا (وأمر أهلك) امتك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطبر) أنت داوم (عليها لانسئلك رزقا) أي لانسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم فلاتهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ماعند السلاطين قرأ ولاتمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أي الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم تأتهم مدني وحفص وبصري (بينة ما في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤل اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقترب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم يعني يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالاضافة الى مامضى ولان كل آت قريب (وهم في غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين (ما يأتيهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده [illegible]

به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا في اخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدل من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون انه سحر (قال ربي) حمزة وعلي وحفص أي قال محمد وغيرهم قل ربي أي قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول في السماء والارض) أي يعلم قول كل قائل هو في السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) بمعجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجيء الآيات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحي حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتابين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لا تعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحد الجسد لارادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا يعني وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين (وما

كانوا

كانوا خالدين) كأنهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم و يخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه أي من قومه (فأنجيناهم) مما حل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أو لانه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أي فيه ذكركم صفة لكتابا (أفلا تعقلون) ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنوا (وكم) نصب بقوله (قصمنا) أي أهلكنا (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة (وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا) أي المهلكون (بأسنا) عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة (اذا هم منها) من القرية واذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر (يركضون) يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومساكنكم لعلكم تسئلون) أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم و يقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع و يستمطرون سحاب أكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يالثارات الانبياء وأخذتهم السيوف فثم (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زالت تلك) هي اشارة الى ياويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر و يجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويناها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها وليجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه

حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لوأردنا أن نتخذ لهوا) أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) أي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان أدري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف أي نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان أو بالاسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان أصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من في السموات والارض) خلقا وملكا فأنى يكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لايستكبرون) لايتعظمون (عن عبادته ولايستحسرون) ولايعيون (يسبحون الليل والنهار لايفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لاتتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا جاء بأم التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لايصح أن يكون إلها اذ لايستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها (لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولايجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لايسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولايلتفت منكم أحد الا امرأتك ولايجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لايجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لايسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة

ولو

ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطاؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أي هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي الجنسية والمسؤلية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول الانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بان يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر أو نقلي وهو الوحي وهو أيضا يأباه فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد (هذا) أي القرآن (ذكر من معي) يعني أمته (وذكر من قبلي) يعني أمم الانبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه) الا نوحي كوفي غير أبي بكر وحماد (أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أي كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أي لمن رضي الله عنه وقال لا إله إلا الله (وهم من خشيته مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (اني إله من دونه) من دون الله اني مدني وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أي فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم ير مكي (أن السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق [illegible] والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق [illegible] مخصص

وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل (أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا فى الارض رواسى) جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت (أن تميد بهم) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سبلا) متقدمة فان قلت أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى لبيان انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) فى موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) أى الكفار (عن آياتها) عن الادلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فى فلك) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أى يدورون والجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فهم الخالدون) والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فان مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان

عدوا

عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق ان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى وكرر هم للتأكيد أو لان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كانه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نقماتي (فلا تستعجلون) بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي استعجالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان أتاكم ليلا أو نهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال

(بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أى ماهم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام وذكر نأتى يشير بان الله يجريه على أيدى المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها (أفهم الغالبون) أفكفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من أطراف أرضهم أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل انما أنذركم بالوحى) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام فى الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) أى ولئن مسهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شئ لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها مع ان بناءها للمرة وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشئ فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله ياأيها الرسل والوزن لصحائف الاعمال فى قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى نفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تظلم نفس شيأ) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضى الله عنه مالان من حفظ شيأ حسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هى التوراة فهى فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر أى شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس اليه فى مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أى يخافونه فى الخلاء (وهم

من الساعة) القيامة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أي جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنا به) بابراهيم أو برشده (عالمين) أي علمنا انه أهل لما آتيناه (اذ) اما أن تتعلق بآتينا أو برشده (قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل) أي الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التي أنتم لها عاكفون) أي لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل وأكد بأنتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا أجئتنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ماهم عليه ضلالا فثم أضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا الربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطة نمرود (لأكيدن أصنامكم) لاكسرنها (بعد أن تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فمرض بقوله اني سقيم أي سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام (فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيذ أي مجذوذ كخفيف وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في يده الا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو الى ابراهيم ليحتج عليهم أو الى الله لما رأوا عجز آلهتهم (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) أي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الا أن الاول وهو يذكرهم أي يعيبهم لابد منه للسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم (قالوا) أي نمرود واشراف قومه (فأتوا به) احضروا ابراهيم (على أعين الناس) في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه أو بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة أو يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائي انه يقف عليه أي فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز أن

يكون الفاعل مستندا الى الفتى المذكور فى قوله سمعنا فتى يذكرهم أوالى ابراهيم فى قوله ياابراهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهومبتدا وخبروالاكثرانه لاوقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أوبدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى تبكيتالهم وإلزاماالحجة عليهم لانهم اذانظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لايصلح إلها وهذا كمالوقال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أنت كتبت هذا وصاحبك أمى فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكما والامر كائن بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ماتنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبدو يدعى إلها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن اوهو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر عنه أى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم فى الحضور (فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه (فرجعوا الى انفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا وبقلوبهم لما أخذ بمخانقهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة مالا ينطق لامن ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لايدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة أى ردوا الى الكفر بعد أن اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه أى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) هو فى موضع المصدر أى نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لايجوز أن يكون إلها فاما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا احرقوه) بالنار لانها اهول مايعاقب به وأفظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلين) أى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها والذى أشار باحراقه نمرود أورجل من اكراد

فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما أحرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل (قلنا يانار كونى بردا وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام (على ابراهيم) أراد ابردى فيسلم منك ابراهيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لولم يقل ذلك لاهلكته ببردها والمعنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير (وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فارسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة فى دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناه) أى ابراهيم (ولوطا) ابن اخيه هاران من العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشرت فى العالمين آثارهم الدينية وهى أرض حصب يطيب فيها عيش الغنى والفقير وقيل مامن ماء عذب فى الارض الا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أى وهبناه هبة وقيل هى ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال وهى حال من يعقوب (وكلا) أى ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثانى (صالحين) فى الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم فى الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهى جميع الاعمال الصالحة وأصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين) لا للاصنام فانتم يامعشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه فى ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهى مايجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهى سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وأدخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة (انه من الصالحين) أى جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) أى واذكر نوحا (اذ نادى) أى دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاءه (فنجيناه وأهله) أى المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أى من أذاهم (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين)

صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واثناهم (وداود وسليمان) أى واذ كرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان فى الحرث) فى الزرع أوالكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فاكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا لحكمهم) أرادهما والمتحاكمين اليهما (شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا (ففهمناها) أى الحكومة أوالفتوى (سليمان) وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان هو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ماقضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان فى شريعتهم فاما فى شريعتنا فلا ضمان عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم أرسلوها أونسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا اصلاحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتينا حكما) نبوة (وعلما) معرفة بموجب الحكم (وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل فى الاعجاز لانها جماد روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامره) بامر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الارض اليها (وكنا بكل شئ عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) فى البحار بامره لاستخراج الدر وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب) أى واذكر أيوب (اذ نادى ربه أنى) أى دعا بأنى (مسنى الضر) الضر بالفتح

الضرر

الضرر في كل شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال (وأنت أرحم الراحمين) ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكانه قال أنت أهل ان ترحم وأيوب أهل ان يرحم فارحمه وا كشف عنه الضر الذي مسه عن أنس رضي الله عنه اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض الى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما شكا اليه تلذذا بالنجوى لامنه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد (فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره انعاما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان أيوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لودعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعني رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (واسمعيل) بن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أي اذكرهم وهو إلياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمي به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر (وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا أو النعمة في الآخرة (انهم من الصالحين) أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون) أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فنادى في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أن) أي بأنه (لا إله الا أنت) أو بمعنى أي (سبحانك اني كنت من الظالمين) لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن

ماانجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (فاستجبناله ونجيناه من الغم) غم الزلة والوحشة والوحدة (وكذلك ننجي المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجي شامي وأبو بكر بادغام النون في الجيم عند البعض لان النون لاتدغم في الجيم وقيل تقديره نجي النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لايجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجي من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التاءين في تنزل الملائكة (وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرني فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولايدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث أي باق (فاستجبناله ووهبناله يحيي) ولدا (وأصلحناله زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أي الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها واضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الاشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لاتنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كل الينا راجعون) فنجازيهم على أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) شيأ (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه) أي فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ (وانا له) للسعي أي لحفظه بأمرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فنثيبه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال

وزناوضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)
والمعنى وممتنع على مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلكناها
اى قدرنا اهلاكهم أو حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل
الصالح والسعي المذكور غير المكفور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى)
هى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى (اذا) وما
فى حيزها (فتحت يأجوج ومأجوج) أى فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف
الى قرية فتحت شامي وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها
يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج
ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حدب) نشز من الارض أى ارتفاع
(ينسلون) يسرعون (واقترب الوعد الحق) أى القيامة وجواب اذا (فاذا هى) وهى
اذا المفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو اذا هى شاخصة كان
سديدا وهى ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى
مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره
يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا فى غفلة من هذا) اليوم (بل كنا
ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم وما تعبدون من دون الله) يعنى الاصنام
وإبليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم (حصب) حطب
وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم
(ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أى العابد والمعبود (فيها) فى النار (خالدون لهم)
للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيأ ما لانهم صاروا صما
وفى السماع نوع أنس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة فى
الحسن تأنيث الاحسن وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا
لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون
الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على
ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد فى البيان (أولئك)
يعنى عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم
وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله
عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن
ابن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى
النهاية (لا يسمعون حسيسها) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الابعاد
عنها أى لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من

النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا العامل فى (يوم نطوى السماء) لايحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد وطيها تكويرنجومها ومحورسومها وهوضد النشر بجمعها ونطويها (كطى السجل) أى الصحيفة (للكتب) حمزة وعلى وحفص أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب أى كما يطوى الطومار للكتابة أى لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كما بدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيده مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ما خلق أوحال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى وأول الخلق ايجاده أى فكما أوجده أولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء والتنكير فى خلق مثله فى قولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لايجمع (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أى وعدا كائنا لامحالة (إنا كنا فاعلين) ذلك أى محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال (ولقد كتبنا فى الزبور) كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أى الشأم (يرثها عبادى) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أى المكتوب يعنى ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح لان الكل أخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض أرض الجنة (ان فى هذا) أى القرآن أو فى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغا) لكفاية واصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك الا رحمة) قال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له أو حال أى ذا رحمة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى) انما الهكم إله واحد) والتقدير يوحى الى وحدانية إلهى ويجوز أن يكون المعنى ان

الذى

الذى يوحى الىّ فتكون ماموصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أى أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ماأمرت به (على سواء) حال أى مستوين فى الاعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) أى لاأدرى متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعنى عليه ولكنى أعلم بأنه كائن لامحالة أولاأدرى متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) أى انه عالم بكل شئ يعلم ماتجاهرون به من الطعن فى الاسلام وماتكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم) وماأدرى لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أى الكفار وهو المستعان على مايصفون

﴿سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها الناس اتقوا ربكم) أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ماأمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كانها هى التى تزلزل الارض على المجاز الحكمى أو الى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولاحجة فيها للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيأ فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أى الزلزلة أو الساعة بقوله (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هى التى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به

(وتضع كل ذات حمل) أى حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبى نفسى نفسى (وماهم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعطشى فى عطشان روى أنه نزلت الآيتان ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبى عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى دين الله (بغير علم) حال نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هى عامة فى كل من يخاصم فى الدين بالهوى (ويتبع) فى ذلك (كل شيطان مريد) عات مستمر فى الشر ولا وقف على مريد لان ما بعده صفته (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه) ان الامر والشأن وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أى تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء فى فانه للعطف وان من مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدا والتقدير فالامر أنه يضله قال والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم ألزم الحجة على منكرى البعث فقال (يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) يعنى ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أى أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أى قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادة ما بدأه (ونقر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أى نحن نثبت (فى الارحام ما نشاء) ثبوته (الى أجل مسمى) أى وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو

من ألفاظ الجموع التي لايستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي لكيلا يعلم شيأ من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما و ينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لايخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحي والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه الى غيره (ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يداك) أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطربا (فان أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر و بلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لايخفى على أحد (يدعوا من دون الله) يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك

(ومالا يضره) ان لم يعبده (ومالا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتها لها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه (لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصرى وشامى (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى الذى يغيظه أو ما مصدرية أى غيظه والمعنى فليصور فى نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى من يريد) أى ولان الله يهدى به الذين يعلم انهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان أباه قائم (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل ان الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه (وكثير من الناس) أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود (ومن يهن الله) بالشقاوة (فما له من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة

وغير

وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل مايشاء (هذان خصمان) أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كائن لامحالة فهو كالثابت المحقق (يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (مافي بطونهم والجلود) أي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من منها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لأنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدني وعاصم وعلي ويؤتون لؤلؤا و بالجر غيرهم عطفا على من ذهب و بترك الهمزة الاولى في كل القرآن أبو بكر وحماد (ولباسهم فيها حرير) ابريسم (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) أي ارشد هؤلاء في الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أي الاسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان (ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن الدخول في الاسلام و يصدون حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي و يصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر و باد فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لاتباع دور مكة وان أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغيرا نه م بالياء مكي وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه

والباد سواء والجملة مفعول ثان والناس حال (ومن يرد فيه) في المسجد الحرام (بالحاد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً فالالحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) في الآخرة وخبران محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له (لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي) من الاصنام والاقذار وبفتح الياء مدني وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن في الناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له أن يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال

زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

واللام في (ليشهدوا) ليحضروا متعلق بأذن أو بيأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط

وتطيبه

وتطييه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملفقا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفي بنذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمرو (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية أو لانه أعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا ولم يفده التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيرده الاسف لهفان ويرده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور [illegible] مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الآثام [illegible]

وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدا محذوف أي الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيأ مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها حظرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحنفاء (ومن يشرك بالله فكانما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أي تسلبه بسرعة فتخطفه أي تتخطفه مدني (أو تهوي به الريح) أي تسقطه والهوي السقوط (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة (ذلك) أي الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله) تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنحر (ثم محلها) أي وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها

وتعظيمها اتمامها ومحلها الى البيت العتيق بأباه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند نحرها وذبحها (فالهكم اله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم إله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك وقوله (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبوه باشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمي الصلوة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفعولي جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أي قائمات قد صففن أيديهن وارجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط أي اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) ان شئتم (واطعموا القانع) السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك سخرناها لكم) أي كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أي ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يتقبل الله اللحوم رياء وسمعة ولكن يتقبل التقوى أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أي البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما هداكم) على ما أرشدكم اليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (ان الله يدافع) مكي وبصري وغيرهما يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) [illegible]

عن المؤمنين ونحوه انالننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (ان الله لايحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله أى لانه لايحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (اذن) مدنى وبصرى وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بانهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) فى محل جر بدل من للذين أو نصب باعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم الا بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازى (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أى ينصر دينه وأولياءه (ان الله لقوى) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أى لست بأوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه

فرعون

فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) انكاري وتغييري حيث أبدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بصري (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها (وبئر معطلة) أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أي أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والاظهر ان البئر والقصر على العموم (أفلم يسيروا في الارض) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الضمير في فانها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أي فما عميت أبصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فاذا أبصر ما في القلب وعمي ما في الرأس لم يضره وان أبصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون مكي وكوفي غير عاصم أي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد طوال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا (ثم أخذتها) بالعذاب (والي المصير) أي المرجع الي فلا يفوتني شيء وانما كانت الاولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان [illegible] وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله [illegible] وعده

وان يوما عند ربك (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين و يا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا أو تقديره نذير مبين و بشير فبشر أولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى فى أمر فلان اذا أفسده بسعيه (فى آياتنا) أى القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكي وأبو عمرو عاجزه سابقه كأن كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لابتداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفى (ولا نبى) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى بخلاف مايقول البعض انهما واحد وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره (الا اذا تمنى) قرأ قال تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان فى أمنيته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي لانه لا يخلو إما أن يتكلم النبى عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ففى حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء فى قراءة النبى عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام و يسمع كلامه فقد روى أنه نادى يوم أحد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به و يبطله و يخبر انه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها و يحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم)

بما أوحى الى نبيه ويقصد الشيطان (حكيم) لايدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وان الظالمين) أى المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فيتأولون مايتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة حتى لاتلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) من القرآن أومن الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعنى يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أوراحة كالريح العقيم لاتأتى بخير أوشديد لا رحمة فيه أولا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أى يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال (والذين هاجروا فى سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) فى الجهاد قتلوا شامى (أوماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لاينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين (وان الله لعليم) باحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بامهال من قاتلهم معاندا روى ان طوائف من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أى الامر ذلك وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغى عليه لينصرنه الله) أى من جازى بمثل مافعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره (ان الله لعفو) يمحوا آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فاجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للافضل وهو ضامن لنصره فى الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغى وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أودل [illegible] العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده [illegible] العفو

عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أى ذلك النصر للظلوم بسبب انه قادر على مايشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل أى يزيد من هـذا فى ذلك ومن ذلك فى هذا أو بسبب انه خالق الليـل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه مايجرى فيهـما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت فى النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شئ بشئ فى الليالى وان توالت الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقى غير أبى بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجرى فيهما وادراكه قولهم وفعلهم سبب ان الله الحق الثابت إلهيته وان كل مايدعى إلهـا دونه باطـل الدعوة وانه لاشئ أعلى منه شانا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات بعد ما كانت مسودة يابسـة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغـدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهـذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم ترأنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل عمله أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له مافى السموات ومافى الارض) مُلكا ومِلكا (وان الله لهو الغنى) المستغنى بكمال قدرته بعد فناء مافى السموات ومافى الارض (الحميد) المحمود بنعمته قبل ثناء من فى السموات ومن فى الارض (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض) من البهائم مذللة للركوب في البر (والفلك تجرى فى البحر بامره) أى ومن المراكب جارية فى البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجرى حال لها أى وسخر لكم الفلك فى حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى يحفظها من أن تقع (الا باذنه) بامره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤف) بتسخير مافى الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أبى حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذى أحياكم) فى أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لايصال جزائكم (ان الانسان لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنـه من صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الانشاء المبدئ للوجود ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصـل الى المقصود (لكل أمة) اهل دين (جعلنا منسكا) مر بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (فى الامر) امر الذبائح او الدين

نزلت حين قال المشركون للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو فى لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك و بينهم تنازع وجدال (فقل الله اعلم بما تعملون) اى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم باعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض) اى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (فى كتاب) فى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به) ينزل مكى و بصرى (سلطانا) حجة و برهانا (وما ليس لهم به علم) اى لم يتمسكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا حملهم عليها دليل عقلى (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم و يصوب مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل و يعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأكيد نفى المستقبل وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل فى تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية [illegible] تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل [illegible] منها ان تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى [illegible] ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم [illegible]) شيئا

ثاني مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم بطلب ما سلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له (ان الله لقوى عزيز) أي ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به أو القوى بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير باحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) مالم يأت أو ما عملوه وما سيعملوه او امر الدنيا وامر الآخرة (والى الله ترجع الامور) أي اليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شامي وحمزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أي كي تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة

(ملة أبيكم ابراهيم) أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أباوان لم يكن أباللامة كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلوة) بواجباتها (وآتوا الزكوة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالككم وناصركم ومتولي أموركم (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب

﴿سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثمان عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والايمان في اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مراء لانه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الذين هم في صلوتهم خاشعون) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام وأضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما المصلى له فغني عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو [illegible] التزكية وهو المراد هنا فجعل [illegible] واسم له لان [illegible]

والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الا على أزواجهم) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم أي يلامون على كل مباشرة الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الا من أزواجهم أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم (فانهم غير ملومين) أي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامائهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لامانتهم مكي وسهل سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفي غير أبي بكر (يحافظون) يداومون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أو لانها وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان (ثم جعلناه) أي نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من

طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا (في قرار) مستقر يعني الرحم (مكين) حصين (ثم خلقنا النطفة) أي صيرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامي وأبو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقا آخر) أي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الي فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) تحيون للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقة وهي السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم (فأسكناه في الارض) كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض فماء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهاب به لقادرون) أي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والاعناب (ومنها تأكلون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعتملها أي انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة [illegible] (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف [illegible]

اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازى وأبى عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء (تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أى تنبت ومعها الدهن تنبت مكى وأبو عمرو واما لان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أو لان مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أى إدام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى فى هذه إداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم فى الانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مما فى بطونها) أى نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهى منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) أى لحومها (وعليها) وعلى الانعام فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) فى أسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من إله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم لعوامهم (ماهذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أى يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول (لأنزل ملائكة) لارسل ملائكة (ماسمعنا بهذا) أى بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى أمره فان أفاق من جنونه والا قتلتموه (قال رب انصرنى بما كذبون) فلما أيس من ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى اذ فى نصرته اهلاكهم أو انصرنى بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أى بدل ذاك والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم (فأوحينا اليه) أى أجبنا دعاءه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أى تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته اياك أو بحفظنا وكلاءتنا كأن معك من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فاذا جاء أمرنا) أى عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أى فار الماء

من تنور الخبز أى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ فى الانذار والاعتبار روى أنه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فأدخل فى السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل الا مايلد ويبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (الا من سبق عليه القول) من الله باهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجىء بعلى مع سبق الضار كاجىء باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت أنت ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع مافيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلنى منزلا) أى انزالا أو موضع انزال منزلا أبو بكر أى مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وان) هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء (فأرسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعد بفى هنا وفى قوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة

* أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) أن مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء فى قصة نوح لانه جواب [illegible] (الذين كفروا) [illegible]

(وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحيوة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ماهذا) أي النبي (الابشر مثلكم يأكل مماتأكلون منه ويشرب مماتشربون) أي منه فحذف لدلالة ماقبله عليه اي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم أنكم اذامتم) بالكسر نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون اذامتم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع (لماتوعدون) من العذاب أو فاعلها ماتوعدون واللام زائدة أي بعد ماتوعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم مايعنى به الابما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحياة الاهذه الحياة التي نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الارجل افترى على الله كذبا) أي ماهو الامفتر على الله فيمايدعيه من استنبائه له وفيمايعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عماقليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك مارأيته قديما ولاحديثا وفي معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذاعاينوا مايحل بهم (فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلا كا يقال بعدا بعدا وبعدا أي هلاك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لايستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من أمة) من صلة أي ماتسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حد لهلا كها وكتب (ومايستأخرون) لايتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترا) فعلي والالف للتأنيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لاينون لانه غير منصرف تترى بالتنوين مكي وأبو عمرو

ويزيد على أن الالف للالحاق كارطى وهو نصب على الحال فى القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها فيهما بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) فى الهلاك (وجعلناهم أحاديث) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للاحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملائه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان للملك فهو عابد له عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحده لأن الاعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أى منزلهما (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الارض أو انه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أو فعيل لانه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان أمرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم على أعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف وان حجازى وبصرى بمعنى ولان أى فاتقون لان هذه أو معطوف على ما قبله أى بما تعملون عليم وبان هذه أو تقديره واعلموا ان هذه (أمتكم) أى [illegible] وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) [illegible] واحدة وهى شريعة الا[illegible]

الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وأنا ربكم)
وحدى (فاتقون) فخافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع بمعنى
قطع أى قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور اى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وقيل
تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه
وقرئ زبرا جمع زبرة أى قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين
دينهم (بما لديهم) من الكتاب والدين أومن الهوى والرأى (فرحون) مسرورون
معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى ان يقتلوا
أو يموتوا (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى
الخيرات) والعائد من خبران الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب
جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله
لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصلح له فى الدين وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين
ولا أصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أيحسبون أى انهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى
يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون) أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى بكتب الله كلها
لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم
لا يشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة
والصدقات وقرئ يؤتون ما أتوا بالقصر أى يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة ان
لا تقبل منهم لتقصيرهم (أنهم الى ربهم راجعون) الجمهور على ان التقدير لانهم وخبران الذين
(أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى
لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أى
طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه
عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال
(ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه
ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل
قلوبهم فى غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون
من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أى ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك
أى لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم
الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط
سبع سنين حين دعا عليهم النبى عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هى التى يبتدأ
بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (اذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجؤار

الصراخ

الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لاتجئروا اليوم) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) اى من جهتنا لا يلحقكم نصر اومعونة (قدكانت آياتى تتلى عليكم) اى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لانه لا يرى ماوراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لا نا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او بآياتى لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن و بالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا او بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من أهجر فى منطقه اذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق اى عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه كابى طالب (ولو اتبع الحق) اى الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم اوشرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم او بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير) حجازى وبصرى وعاصم خرجا فخرج على وحمزة شامى خراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق أن تستجيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط [illegible] (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى [illegible]

سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليلا ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيأ (وهو الذى ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (فى الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت) أى يحيى النسم بالانشاء ويميتها بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أى مجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أى أهل مكة (مثل ما قال الاولون) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) مننا نافع وحمزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) مجيء محمد (ان هذا الا أساطير الاولين) جمع إسطار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية أفلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب

العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك (وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى ✿ ورب الجياد الجرد قيل لخالد

أي لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم أكدكذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقال اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدا محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما تريني ما يوعدون) ما والنون مؤكدان أي ان كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رضي الله عنه أخبره الله ان له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فامر ان يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وان يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بـ ... صلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من أن يقال ... السيئة لما فيه من التفضيل ... فيه تمام ... بالحسنى السيئة والمعنى ...

بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند النزع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون أى لا يزالون يشركون الى وقت مجيء الموت أو لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما تمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدا محذوف (تلفح) أى تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتى) أى القرآن (تتلى عليكم) فى الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وتزعمون

انها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلى وكلاهما مصدر اى شقينا باعمالنا السيئة التى عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذى علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى أمره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) اى من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا اسكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) فى رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير أن يحضرونى ارجعونى ولا تكلمونى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء (انه) ان الامر والشان (كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه اى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (أنهم) اى لانهم (هم الفائزون) ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا اى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستئناف اى انهم هم الفائزون لا أنتم (قال) اى الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى أمر لمالك ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا (عدد سنين) اى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة (فاسئل العادين) اى الحساب او الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل بلا همز مكى وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) اى ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثا قليلا (لو أنكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها قل ان حمزة وعلى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال اى عابثين او مفعول له اى للعبث (وأنكم الينا لا ترجعون) وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم او على عبثا اى للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثا (الملك الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه او الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه او النسبة الى أكرم الا[illegible] وقرئ شاذا برفع الكريم صفة لرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آ[illegible]

حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة جئ بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان (فانما حسابه) أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أي فهو مجازيه لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لان رحمته اذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

﴿سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) خبر مبتدا محذوف أي هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أو على أتل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا أحكامها التي فيها واصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكي وأبو عمرو للمبالغة في الايجاب وتوكيده أولان فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلي وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما أو الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى أنه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة لان اقامة الحد من الدين وهي على الكل الا انهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروي منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى في قوله فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة والفتح لغة وهي قراءة مكي وقيل الرأفة في دفع المكروه والرحمة في ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) أي في طاعة الله أو حكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب

التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة الى أربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكله أو في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الاسلام ثم نسخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يقتضي اذا قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال أوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف عن مزاوجة الزواني والقحاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على أي يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفي فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف [illegible]
(فاجلدوهم ثمانين جلدة) [illegible] ثمانين [illegible]
جلدة وجلدة نصب على التمييز (ولا [illegible] لهم شهادة أبدا) [illegible]

كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا و يتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد و رد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل فى حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى القذف (وأصلحوا) احوالهم استثناء من الفاسقين و يدل عليه (فان الله غفور رحيم) أى يغفر ذنوبهم و يرحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعنده من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أى يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفى غير أبى بكر على انه خبر والمبتدا فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه فى حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) لا خلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهى مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (و يدرأ عنها العذاب) و يدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ (ان تشهد أربع شهادات بالله انه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رمانى به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أى الزوج (من الصادقين) فيما رمانى به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة وان غضب الله سهل و يعقوب وحفص وجعل الغضب فى جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين فى النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند أبى يوسف و زفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال بن أمية او عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبى صلى الله عليه وسلم بينهما (ولولا فضل الله) تفضله (عليكم ورحمته) نعمته (وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف اى لفضحكم اولعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد

ما أفك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت
ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى إتاهم
بعد ما نزلوا فهلك فيّ من هلك فاعتلات شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا
أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها
فاخبرتني بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم
وهما يظنان ان الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشري يا حميراء فقد أنزل
الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا
اجتمعوا وهم عبد الله ابن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح
بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان
الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين (لا تحسبوه) أي الافك (شرا لكم)
عند الله (بل هو خير لكم) لان الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من
المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبة جزاء
اثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذي تولى
كبره) أي عظمه عبد الله ابن أبيّ (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم
يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال
والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وبخ الخائضين فقال (لولا) هلا (اذ سمعتموه) اى الافك
(ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله
ولا تلمزوا أنفسكم (خيرا) عفافا وصلاحا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضي الله عنه قال
لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب
على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف
لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما أوقع ظلك
على الارض لئلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك
كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه ان جبريل
أخبرك ان على نعليك قذرا وأمرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر
فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير ان تكون متلطخة بشيء من الفواحش وروى ان أبا
أيوب الانصاري قال لامرأته ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن
بحرم رسول الله سوأ فقال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير
مني وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل
ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان
على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب

ولا طاعن وهـذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ماسمعه بإخوانه (وقالوا هـذا افك مبين) كذب ظاهر لا يليق بهـما (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء (فاذ لم يأتوا بالشهداء) الاربعة (فاولئك عندالله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أى القاذفون لان الله تعالى جعـل التفصلة بين الرمى الصادق ولكاذب ثبوت شـهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ماتقدم أى ولولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحـديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أولا فضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بالسنتكم) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا نادالا طارفيه (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسـبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عنـدالله عظيم) كبيرة جزع بعضهم عنـد الموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عندالله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنا وهو تنزلهـا من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لاتنفك عنها فلذا يتسع فيها مالا يتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ماسمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعـنى هـلا قلتم اذ سمعتم الافك مايصح لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الامر ومعـنى التعجب فى كلمة التسبيح ان الاصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة وانمـا جاز ان تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لان النبى مبعوث الى الكفار ليـدعوهم فيجب أن لا يكون معه ماينفرهم عنـه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى (يعظكم الله أن تعودوا) فى أن تعودوا (لمثله) لمثل هـذا الحديث من القذف أو استماع حـديثه (أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهـيج لهم ليتعظوا وتذكير بمـا يوجب ترك العود وهو الايـمـان الصادّ عن

كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات واحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم وبأعمالكم (حكيم) يجزى على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) أى ماقبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة لها (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لا تعلمون) أى انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم (وأن الله رؤف) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف اذا تاب (ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ماأفرط قبحه (والمنكر) ماتنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماز كى منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم (ولا يأتل) ولا يحلف من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية أو لا يقصر من الالو (أولو الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى الدنيا (أن يؤتوا) أى لا تؤتوا ان كان من الالية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم مايرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لى ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبى عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة ان

لم يتوبوا والعامل فى (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى بما أفكوا أو بهتوا والعامل فى (يومئذ «يوفيهم» الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبىّ يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بأن ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شىء من المعاصى تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها فأوجز فى ذلك واشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك الا لأمر وعن ابن عباس رضى الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذلك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على انافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أى فيهم وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافى لانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجنى وتزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى (٣) وينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا فى حقها

حصان رزان ما تزن بريبة ✿ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ✿ نبى الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حى من لؤى بن غالب ✿ كرام المساعى مجدها غير زائل

(٣) فى بعض النسخ زيادة «ولقد حفته الملائكة فى بيتى» وهى زائدة عن التسع

مهمة

مهذبة قد طيب الله خيمها ✲ وطهرها من كل شين وباطل

(ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس فى الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسليم أن يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستئذان (ذلكم) أى الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن فكان الرجل من أهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به فى باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها لان التصرف فى ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أى اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل مايؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون ومايذرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) فى أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على مايحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها وقدميها فى رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أطهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعنى انه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى [illegible] فى كل [illegible] رسدون

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ماتحت سرته الى ركبتيه وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ماتزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ اظهار عين الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها أو اظهارها وهي في مواضعها لا اظهار مواضعها لا اظهار أعيانها ومواضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال (الا ماظهر منها) الا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضربن) وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطينها (ولا يبدين زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الا لبعولتهن) لازواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيهم الاجداد (أو آباء بعولتهن) فقد صار واحارم (أو أبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (أو أبناء بعولتهن) فقد صار واحارم أيضا (أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة (أو نسائهن) أي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ماملكت أيمانهن) أي امائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان أو عنينا أو فحلا وقال سعيد بن المسيب لاتغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها (أو التابعين غير) بالنصب شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية (أولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لايعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصي أو المخنث وفي الاثر انه المجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا أطلع عليه أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوي عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ سماع

صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون) أيه شامي اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها ألفا في التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل أحوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافي الايمان (وأنكحوا الايامى منكم) الايامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرا كان أو ثيبا واصله أيايم فقلبت (والصالحين) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) أى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل في الآية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمهما (وليستعفف الذين) وليجتهد في العفة كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر (ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في

التجارة ومكاتب وآبق فثال الاول ولى العزلة الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنهاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن فى الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا

وما هو منهم بالعيش فيهم ✡ ولكن معدن الذهب الرغام

يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بامره وكانه قيل فيه

فان تفق الانام وأنت منهم ✡ فان المسك بعض دم الغزال

فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكانه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمياه ويفعل ما يشاؤه ويهواه والرابع الآبق فأكثرهم فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون أكثر اقواله الفضول وعلى كل ما لا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فمنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخرة (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) كان لابن أبى ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر لبغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وإنما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالى أى اذا رغبن فى التحصن فانتم أحق بذلك (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبتغوا باكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى

يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازي وبصري وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف أي أجري مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها مجازا أومن بين بمعنى تبين ومنه المثل * قد بين الصبح لذي عينين * (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا (للمتقين) أي هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والارض وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاي (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلي كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة شبه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف حمزة وعلي وأبو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت زبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها نبتت في الارض التي بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لاشرقية ولاغربية) أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضيء ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان [illegible] لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء [illegible] فيه والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة

وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدني محسوس معهود لا بعلي غير معاين ولا مشهود فابو تمام لما قال في المأمون

اقدام عمرو في سماحة حاتم ✲ في حلم أحنف في ذكاء اياس

قيل له ان الخليفة فرق من مثلته بهم فقال مرتجلا

لا تنكروا ضربي له من دونه ✲ مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره ✲ مثلا من المشكاة والنبراس

(يهدي الله لنوره) أي لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا ويؤمنوا (والله بكل شيء عليم) فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنه مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت (أذن الله) أي أمر (ان ترفع) تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدو لان صلاته صلاة واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي (رجال) فاعل يسبح يسبح شامي وأبو بكر ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أي يسبح له (لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) في السفر (ولا بيع) في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ما عم لانه أوغل في الالهاء من الشراء لان الربح في البيعة الرابحة متيقن وفي الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلوة) أي وعن اقامة الصلاة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو ألفا اجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت (وايتاء الزكوة) أي وعن ايتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء المترفين أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متثاقلين كأولياء الشجرة (يخافون يوما) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) ببلوغها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد

انكاره

انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أي يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا الدين في الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات في بحر) أو هنا كأو في أو كصيب (لجي) عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الاعلى سحاب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (اذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها [illegible] نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا [illegible] من نور) [illegible] الله لم يهتد [illegible] عن الزجاج في الحديث [illegible] ظلمة ثم رش عليهم [illegible] فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأ [illegible]

تعلم يا محمد علما يقو[illegible] العيان في الايقان [illegible]

والطير) عطف على من (صافات) [illegible] الطير [illegible]

علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو لله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيأ فيتمليكه اياه (والى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يزجي) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره للفظ أي يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل) وينزل مكي ومدني وبصري (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ماينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنا برقه) ضوئه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لأولى الابصار) لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ماذكر فهي براهين لائحة على وجوده دلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حمزة وعلي (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها أناسي وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا ومدبرا والالم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثم ان أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ماوراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون ثم قيل (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان

والطير

والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم وقدم ماهوأعرق فى القدرة وهو الماشى بغيرآلة مشى من أرجل اوغيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يخلق الله مايشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء) بلطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لالزام حجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا و باطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا و باطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب و بدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا بالله و بالرسول) بألسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) اى من بعد قولهم آمنا بالله و بالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) اى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لاعتقادهم مايعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) اى الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون) اى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض وجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف و يقول ان محمدا يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) اى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال اى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ماوجب لهم فى ذمة الخصم (أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين اومرتابين فى أمر نبوته اوخائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه [illegible] (بل أولئك هم الظالمون) اى يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم اى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه [illegible] قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون [illegible]

(ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبوعمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) اى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) اى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا او بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر اوخبر مبتدا محذوف اى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم مافى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه (وان تطيعوه تهتدوا) اى وان أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر فى توليكم والنفع عائدان اليكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا أن يبلغ ماله نفع فى قلوبكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم فى الارض) اى أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح انه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) [illegible] أبو بكر (الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم) وبالتخفيف مكى وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر [illegible] الارض ويجعلهم فيها خلفاء [illegible] حين اورثهم مصر والشام [illegible] الجبابرة وان [illegible] دين الاسلام

وتمكينه تثبيته وتعضيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدوننى) ان جعلته استئنافا فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب (لا يشركون بى شيأ) حال من فاعل يعبدون أى يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى (ومن كفر بعد ذلك) أى بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعد ما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال (وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) أى فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبالياء شامى وحمزة والفاعل النبى صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بأن يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وهى (من قبل صلوة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهى نصف النهار فى القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة (... صلوة العشاء) لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف ... عورات

لكم) أى هى أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدا والمضاف وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهونائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى لا اثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان فى هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أى هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدا خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التى قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان فى كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التى احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة والله ما هى بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما تبين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتى لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه وهى فى محل الرفع صفة للمبتدا وهى القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) أى اثم ودخلت الفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط بسبب الالف واللام (أن يضعن) فى أن يضعن (ثيابهن) أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق

ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدا خبره (خير لهن والله سميع) لما يعلن (عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنه هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد وما في يده لمولاه (أو صديقكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) اي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله [illegible] على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتـ[illegible] [illegible] في

الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصديره الجملة بأنما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فاذا استأذنوك) فى الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فائذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل أن لا يستأذن قالوا وينبغى أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أى ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة والآية تدل على أن الامر للايجاب (ألا ان لله ما فى السموات والارض) ألا تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما فى السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون فى سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة فى قوله قد

يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على انه خبر مبتدا محذوف أو على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شئ) أي أحدث كل شئ وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولاشبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد (فقدره تقديرا) فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا او قدره للبقاء الى امد معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين اولا لانه نذيرا عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) اى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) اى انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شئ وهم مخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها [illegible] موتا) اماتة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) احياء بعد [illegible]

لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ماهذا القرآن (الاافك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (واعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر بن الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا اخبار من الله رد للكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديتها اوحذف الجار واوصل الفعل اى بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ماهو برئ منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أى هو أحاديث المتقدمين وماسطروه كرستم وغيره جمع اسطار وأسطورة كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ مايملى عليه ثم يتلوه علينا (قل) يا محمد (أنزله) أى القرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض يعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لاتغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا أى شئ لهذا الزاعم انه رسول (يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أى ان صح انه رسول الله فماباله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف ثم نزلوا الى أن يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله (وقال الظالمون) اياهم باعيانهم غيرانه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (ان تتبعون الارجلا مسحورا) سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لاملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشباه أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك الصفات والاحوال من المفترى والملى عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى تكاثر خير الذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وجنات [illegible]

بالرفع مكي وشامي وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة في الاستعار (اذا رأتهم) أي النار أي قابلتهم (من مكان بعيد) أي اذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا مكي فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أي قالوا واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أي انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير في النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كانه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤن) أي ما يشاؤنه (خالدين) حال من الضمير في يشاؤن والضمير في (كان) لما يشاؤن (على ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوبا أو حقيقا أن يسئل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانه أريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامي (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو [illegible] من ذكره وايلائه حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤل عنه [illegible]

بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو أتخذوا وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدى الى المفعولين فالمفعول الاول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(بما تقولون) بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أي فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أي يشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد وفيه احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء

(أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لاتصبرون فيزداد غمكم وحكى ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أوجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أوممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به او بمن يصبر ويجزع (وقال الذين لايرجون) لايأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لايؤمنون بالبعث أولايخافون عقابنا امالان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أولان الرجاء فى لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلادون البشر أوشهودا على نبوته ودعوى رسالته (أونرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بمادل عليه (لابشرى) أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكد ليوم يرون أو باضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لابشرى بالجنة يومئذ ولاينتصب بيرون لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لايعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لايعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أوعام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات (ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولاقدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشيائه وقصد الى ماتحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء مايخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لايقبل الاجتماع ولايقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تمييز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم ولانوم فى الجنة ولكنه سمى مكان استراحتهم الى الحور [illegible]
وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أ[illegible]

النار وفى لفظ الاحسن تهكم بهم (و يوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والاصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغمها فى الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) ونزل الملائكة مكى وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر و يفهم منه يسره على المؤمنين ففى الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا (و يوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة و يدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة و يجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما نبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى و يلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبى بن خلف وهو خليله وجهى من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ياليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد اذ جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للانسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم الشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك الله هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم وللهدى ويجوز أن يكون حالا أو تمييزا والباء زائدة

أي وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وقال الذين كفروا) أي قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أي مجتمعا (واحدة) يعني هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل والا لكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج وما مالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين وذلك في كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم ان ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ وجزأ عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان (الا جئناك بالحق) الا أتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان في الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ان تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل في الاعجاز من أن ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أ[illegible]ك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع شر خبر الذين [illegible] الذين أو أعني الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أي مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا [illegible] سبيلا) أي وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات [illegible] سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسهو بين على وجو[illegible]م الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته [illegible] هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله [illegible] عليه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة [illegible]

على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل أو عطف بيان (وزيرا) هو في اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لاتنافي النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء و يؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وادريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا أنه أراد تظليمهم فاظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذابا أليما) أى النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أوهم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له (ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الى الشام فيتفكروا فيؤمنوا (بل كانوا لايرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لايخافون بعثا فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الا هزوا) اتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوا به (أهذا الذى) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أى قائلين أهذا الذى (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذى محذوف أى بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يأتى و يذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الاول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) أم منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل وللبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاحب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود اذ لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى تأتى عليه [illegible] جاء بثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم من الثانى [illegible]

(وهو الذى جعل لكم الليل لباسا [illegible]

لابدانكم وقطعا الاعمال كم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) الريح مكى والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع بشور (بين يدى رحمته) أى قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (طهورا) بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم (لنحيى به) بالمطر (بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا انعاما وأناسى كثيرا) أى ونسقى الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من انعاما واناسى أى انعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمى ونسقيه والاناسى جمع انسى على القياس ككرسى وكراسى وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقى الانعام والاناسى لان حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسى متعلقة بها فكأن الانعام عليهم بسقى الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيان ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) ليذكروا حمزة وعلى يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فأبى أكثر الناس الا كفورا) فابى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات

المتغايرة

المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل و جود ورذاذ وديمة فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما مامن عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد أن تكون هي والانواء من خلق الله تعالى كفر وان راى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين) أي لو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضائي على جميع الاهواء وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير في به الى مادل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة لملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا) وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا (وهو الذي خلق من الماء) أي النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أي قرابة وصهرا مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا [illegible]
[illegible] والظهير والمظاهر [illegible] والمعاون والمظاهرة المعاونة [illegible]
[illegible] صنم يتابع الشيطان و [illegible] الرحمن [illegible]

(ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب بالثواب ولعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى رضاء ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما ادعوكم اليه أجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرنى عليه (وتوكل على الحى الذى لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به وأسند أمرك اليه فى استكفاء شرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل أمر (وسبح) عن ان يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ونهار روى عن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها فى ستة ايام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدا محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدا أو الرحمن خبره (فسل) بلا همزة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وقد عاندوا لان معناه

عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش (وزادهم) قوله اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلي أي نجوما (وقمرا منيرا) مضيأ بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعدما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والافك أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون الى الله في صرف العذاب عنهم (انها ساءت مستقرا ومقاما)

أى ان جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح ان يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا التنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفى وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواما) أى عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه ارادها فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهى الرجل شيأ الا أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) اى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) اى حرمها يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) اى المذكور (يلق اثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ✻ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فجزم تلمم لانه بمعنى تأتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شامى يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومن يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أى يعذب على مرور الايام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويخلد) جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) فى العذاب فيهى مكى وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل فى هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أى

ذليـلا (الا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فأولئك يبدل الله سيئاتهـم حسنات) أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسـنات الايمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمي (وكان الله غفورا) يكفر السيآت (رحيما) يبـدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطئين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء (واذا مروا باللغو) بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التـلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضي الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفي الخرور بل هو اثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشـباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من للبيان كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين) وانما نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليـه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين انها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى انهم سألوا ربهم ان يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيـل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى [illegible] وأولاده مطيعين لله [illegible] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الولد [illegible]
(واجعلنا للمتقين اماما) [illegible] يقتدون بنا في الدين [illegible]

ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا اماما قيل في الآية مايدل على ان الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل مايعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه مايصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام أو لولا عبادتكم له أي انه خلقكم لعبادته كقوله وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أو مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسولي ياأهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أي ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك مايعبأ مايبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر

﴿سورة الشعراء مكية وهي مائتان وعشرون وسبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) طس ويس وحم ممالة كوفي غير الاعشى والبرجمي وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل ولعل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على مافاتك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (ننزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمتك أي أكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤساؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنبؤا) أخبار (ما كانوا به يستهزؤن) وهذا وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون

اذامسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ماالشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة و به نبه على كمال قدرته (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ان فى انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم ووحد آية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر أنبتنا اوالمراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية اى آية (واذ) مفعول به اى اذكر اذ (نادى) دعا (ربك موسى ان ائت) ان بمعنى اى (القوم الظالمين) انفسهم بالكفر وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (الا يتقون) أى ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب انى أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (أن يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنف أوعطف على اخاف (ولا ينطلق لسانى) بأن تغلبنى الحية على ماأرى من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير و بالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فأرسل الى هرون) أى ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعينى على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس توقفا فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أوسمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فأخاف أن يقتلون) أى يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ... ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (بآياتنا) من آياتنا وهى اليد والعصا ... (انا معكم) أى معكما بالعون والنصرة ... من أرسلتما اليه ... (... ون)

خبرلان ومعكم لغوأوهما خبران أى سامعون والاسماع فى غيرهـذا الاصغاء للسماع يقال اسمع فلان حديثه أى أصغى اليـه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأتيا فرعون فقولا انارسول رب العالمين) لم يثن الرسول كما ثنى فى قوله انارسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسـل فلم يكن بد من تثنيته وجعـل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحـدة كانهما رسول واحد أو أريدان كل واحـد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيـه معنى القول (معنا بنى اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فاتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليـه الرسالة فعرف فرعون موسى فعنـد ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما حـذف فاتيا فرعون فقالا اختصارا والوليد الصبى لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكا (وأنت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى أوكنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية (قال فعلتها اذا) أى اذ ذاك (وأنا من الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهـذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتـك معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جـديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم) أن تقتـلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لى ربى حكما) نبوة وعلما فزال عنى الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كر على امتنانه عليـه بالتربية فابطله من اصـله وابى ان تسمى نعمة لانها نقمة حيث بين ان حقيقـة انعامه عليه تعبيـد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهـم هو السبب فى حصوله عنـده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر أبويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحـده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ماهى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على (قال فرعون ومارب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما صفته

لانك

لانك اذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ماز يد تعنى أطو يل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رب السموات والارض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا أوان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لايقال الله موقن (قال) أى فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا فاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها غيرى وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السموات والارض ومابينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وماشاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر مااستدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى ألا تستمعون فعاد موسى الى مثل [illegible] لا [illegible] فجننه فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم أنه لاتمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لأجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لايبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أ[illegible]) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى أتفعل [illegible] ذلك ولو جئتك (بشىء مبين) أى جائيا بالمعجزة (قال فأت به) [illegible] بالذى [illegible] كنت من الصادقين) أن لك [illegible] [illegible] رأى [illegible]

ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيأ يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق (قال) أي فرعون (للملا حوله) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملا أي كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخبر (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الامر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما ولا تباغت قتلهما خوفا من الفتنة (وابعث في المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أي غلبوا موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين علي وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أي قال فرعون نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فألقوا حبالهم) سبعين ألف حبل (وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصي (وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) أقسموا بعزته وقوته

وهو من أيمان الجاهلية (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى (فألقى السحرة ساجدين) عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاآت ولانهم لسرعة ماسجدوا صاروا كانهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) عن عكرمة رضي الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال اياى عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم ثم صرح فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولاصلبنكم أجمعين) كانه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الايمان (قالوا لاضير) لاضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا لاضرر علينا فى ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أولا ضير علينا فيما تتوعدنا به إنه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها أولا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمزة حجازى (بعبادى) بنى اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أى سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى انى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا [illegible] حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضرب بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكه [illegible] لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبز واخبز افطيرا فانه أسرع [illegible] بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) [illegible] جامعين الناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة [illegible] القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل [illegible] قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أى انهم لقلتهم [illegible] ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من [illegible] كانوا سبعة آلاف ألف (وانهم لنا لغائظون) [illegible] يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق [illegible] وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم

أبكارنا (وانا لجميع حاذرون) شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وانهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهي بهيج وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي الامر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فأتبعوهم) فلحقوهم فاتبعوهم يزيد (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معي) معيَ حفص (ربي سيهدين) أي سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم روى ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل و بين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم و يستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم باولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبة لا توصف (وما كان أكثرهم) أي المغرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذ قال لابيه وقومه) قوم ابراهيم

اوقوم الاب (ماتعبدون) ای ای شیٔ تعبدون وابراهیم علیه السلام یعلم انهم عبدة الاصنام ولکنه سألهم لیریهم ان مایعبدونه لیس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد اصناما) وجواب ماتعبدون اصناما کیسئلونك ماذا ینفقون قل العفو ماذا قال ربکم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لاعن العبادة وانما زادوا نعبد فی الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا علی نعبد (فنظل لها عاکفین) فنقیم علی عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظل لانهم کانوا یعبدونها بالنهار دون اللیل اومعناه الدوام (قال) ای ابراهیم (هل یسمعونکم) هل یسمعون دعاءکم علی حذف المضاف لدلالة (اذ تدعون) علیه (اوینفعونکم) ان عبدتموها (او یضرون) ان ترکتم عبادتها (قالوا بل) اضراب ای لاتسمع ولاتنفع ولاتضر ولانعبدها لشیٔ من ذلك ولکن (وجدنا آباءنا کذلك یفعلون) فقلدناهم (قال افرایتم ماکنتم تعبدون انتم وآباؤکم الاقدمون) الاولون (فانهم) ای الاصنام (عدولی) العدو والصدیق یجیآن فی معنی الوحدة والجماعة یعنی لو عبدتهم لکانوا اعداء لی فی یوم القیامة کقوله سیکفرون بعبادتهم ویکونون علیهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب ای فانی عدوهم وفی قوله عدولی دون لکم زیادة نصح لیکون أدعی لهم الی القبول ولوقال فانهم عدولکم لم یکن بتلك المثابة (الارب العالمین) استثناء منقطع لانه لم یدخل تحت الاعداء کانه قال لکن رب العالمین (الذی خلقنی) بالتکوین فی القرار المکین (فهو یهدین) لمناهج الدنیا ولمصالح الدین والاستقبال فی یهدینی مع سبق العنایة لانه یحتمل یهدینی للاهم الافضل والاتم الاکمل اوالذی خلقنی لاسباب خدمته فهو یهدینی الی آداب خلته (والذی هو یطعمنی) اضاف الاطعام الی ولی الانعام لان الرکون الی الاسباب عادة الانعام (ویسقین) قال ابن عطاء هو الذی یحیینی بطعامه ویروینی بشرابه (واذا مرضت) وانما لم یقل امرضنی لانه قصد الذکر بلسان الشکر فلم یضف الیه مایقتضی الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤیة الخلق (فهو یشفین) بمشاهدة الحق قال الصادق اذا مرضت برؤیة الافعال فهو یشفین بکشف منة الافضال (والذی یمیتنی ثم یحیین) ولم یقل اذا مت لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الی روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فی الاحیاء لتراخیه عن الافناء [illegible] حل الفاء فی الهدایة والشفاء لانهما یعقبان الخلق والمرض لامعاما (والذی اطمع) طمع [illegible] من الموالی بالافضال لاعلی الاستحقاق بالسؤال (ان یغفرلی خطیئتی) قیل هو قوله [illegible] ل فعله کبیرهم هذا ربی البازغ هی اختی لسارة وماهی الامعاریض جائزة ولیس [illegible] طلب لها الاستغفار واستغفار الانبیاء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعلیم [illegible] المغفرة (یوم الدین) یوم الجزاء (رب هب لی حکما) حکمة أو حکما بین الناس بالحق [illegible] لان النبی علیه السلام ذو حکمة وذو حکم بین عباد الله (وألحقنی بالصالحین) أی [illegible] اجابه حیث قال وانه فی الآخرة لمن الصالحین (واجعل لی لسان صدق فی الآخرین) أی ثناء حسنا وذکرا جمیلا فی الامم التی تجیٔ بعده [illegible] علی ذلك فکل أهل دین یتولونه و[illegible] علیه ووضع اللسان موضع القول لان القول یکون به

(واجعلني من) يتعلق بمحذوف أي وارثا من (ورثة جنة النعيم) أي من الباقين فيها (واغفر لابي) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من الضالين) الكافرين (ولاتخزني) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كا بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم أو للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه أي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولابنون) أحدا (الامن أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلامة من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فابطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وازلفت الجنة للمتقين) أي قربت عطف جملة على جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) اى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (للغاوين) الكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) انكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) اى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيها الاصنام (برب العالمين) في العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أي رؤساؤهم الذين أضلوهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء

والاولياء

والاولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما ترى لهم أصدقاء اذلا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أوفما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع (فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى (ان فى ذلك) فيما ذكر من الانباء (لآية) أى لعبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلّم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أو لان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبا لا دينا (نوح ألا تتقون) خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام فى قريش (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به وأدعوكم اليه من الحق (وما أسئلكم عليه) على هذا الامر (من أجر) جزاء (ان أجرى) بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك أريده (فاتقوا الله وأطيعون) كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا الله ثم اذا عرفتم احترازى من الاجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وابطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لاتزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا ومازالت اتباع الانبياء كذلك (قال وما علمى) وأى شئ أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم

الاعلى ربى لوتشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على مافى قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أى ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ماعلى الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبونى في وحيك ورسالتك (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجنى ومن معى) معىَ حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من جحد وأصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله) فى تكذيب الرسول الامين (وأطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مر بهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء أو قصورا مشيدة أو حصونا (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) فى البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتمونى (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لانقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآى (ان هذا الاخلق الاولين) ماهذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابنية الاعادة الاولين أوما نحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكى و بصرى و يزيد وعلى اى ماجئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم اساطير الاولين اوخلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) اى هودا (فاهلكناهم) بريح صرصر عاتية (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين

اتتركون) انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول النخل اول شئ تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضيم) لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره (وتنحتون) تنقبون (من الجبال بيوتا فارهين) شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين اشرين والفراهة الكيس والنشاط (فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين) الكافرين اوالتسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل (الذين يفسدون فى الارض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر (ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب اوعقر اوغير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فأخذهم العذاب) المقدم ذكره (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس اى أتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أتطؤن أنتم من بين ... عداكم من العالمين الذكران اى انتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين ... ينكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) ... ما خلق

أوتبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد أي بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعملكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقلى البغض يقلي الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين (رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعني بناته ومن آمن معه (الاعجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان (في الغابرين) صفة لها أي في الباقين في العذاب فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كانه قيل الاعجوزا غابرة أي مقدرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم دمرنا الآخرين) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص علم للبلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجؤا الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها في الافساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الارض اذا

أفسد وعثى فى الارض لغة فى عثا (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهى القطعة وكسفه قطعه (من السماء) أى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أى ان كنت صادقا انك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا من السماء عقوبة (قال ربى) بفتح الياء حجازى وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أى ان الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان اراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة أظلتهم بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازى وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) أى حفظك وفهمك اياه وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربى) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء أما ان يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام أو بنزل أى نزله باللسان عربى لتنذر به لانه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان [illegible] على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها [illegible] الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه [illegible] [illegible]لام

وان كلم بغيرها كان نظره اولا فى الفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير
انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين (وانه) وان القرآن (لفى زبر الاولين) يعنى
ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن
اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (أولم تكن
لهم آية) شامى جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة
وقيل فى تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة
والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أو خبر مبتدا محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره يكن
بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره اولم يكن لهم علم علماء بنى
اسرائيل آية (علمؤا بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا
آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علمؤا بواو قبل الالف
(ولو نزلناه على بعض الاعجمين) جمع اعجم وهو الذى لا يفصح وكذلك الاعجمى الا ان فيه
لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له
أعجم وأعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح
وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أى الاشعريون
بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا انزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته
وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته فى
كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم
يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو
نزلناه على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم
هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك
سلكناه) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فى
قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا
السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل
الى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى
قرطاس فلمسوه أيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة
فى خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه
فى قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم
فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز أن يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) والمراد
معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم

لايشعرون) باتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون) توابيخ لهم وانكار عليهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفاته والله تعالى يقول (افرأيت إن متعناهم سنين) قيل هي سنو مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ مامضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم * وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذروا ذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذر بن اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السمع لمعزولون) لممنوعون بالشهب (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهي لغيره على التعريض والتهييج له على زيادة الاخلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيأ وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا أملك لكم من الله شيأ (واخفض جناحك) وألن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك

فقل انى برىء مما تعملون) يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم
وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز
الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته و ينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم
ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره و يقدر على نفعه وضره وقالوا
المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه
التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه فى الدارين
فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل أو فلا تدع (الذى يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) أى
ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين
من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله و يعملون
لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه
فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد
الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية (انه هو السميع) لما تقوله
(العليم) بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لا مشقة
على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله * بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى *
ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم)
أى هل أخبركم أيها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفاك
أثيم) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله
عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم
الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملا الاعلى فيحفظون بعض
ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم و يلقون حال أى تنزل
ملقين السمع أو صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجر أو استئناف فلا
يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (وأكثرهم
كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع أى
المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم أو
يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين
مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد
ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن
الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على
من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة
بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفى صدرك اهتمام بشئ فتعيد

ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه * ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع (ألم تر أنهم في كل واد) من الكلام (يهيمون) حيران أي في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضي الله عنهم (وذكروا الله كثيرا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا اى ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * ختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنه حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا وأي منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي ينقلبون أى الانقلاب

﴿ سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وإبانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وإبانته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطف ... كعطف

احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه فى الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ و يكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى و بشرى) فى محل النصب على الحال من آيات أى هداية و بشارة فالعامل فيهما ما فى تلك من معنى الاشارة أو الجر على انه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هى هدى و بشرى أو على البدل من آيات أو على ان يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق و بشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يديمون على فرائضها وسننها (و يؤتون الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول و يحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كانه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا انى آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع ان أحدهما ترج والآخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة و باو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ

التزوّج (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذى أصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصاد (فلما جاءها) أى النار التى أبصرها (نودى) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بانه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشرى لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة او مفسرة لان فى النداء معنى القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (من فى النار ومن حولها) أى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودى فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير فى انه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وان ألق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء فى رآها (كأنها جان) حية صغيرة حال من الضمير فى تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودى (ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى اياهم أو لا يخاف لدى المرسلون من غيرى (الا من ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فانى غفور رحيم) أقبل توبته واغفر زلته وأرحمه فاحقق أمنيته وكانه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص وبيضاء ومن غير سوء حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو والق عصاك وادخل يدك فى جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى يتعلق بمحذوف أى مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا) أى معجزاتنا (مبصرة) حال أى ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها للابستهم اياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كانها تبصر فتهدى لان الاعمى لا يقدر على الا[illegible]
[illegible] غيره ومنه قولهم كلمة عيناء [illegible] لان الكلمة الحسنة ترشد [illegible]

سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وجحدوا بها) قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر فى شرح التأويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الايقان (أنفسهم) أى جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم (ظلما) حال من الضمير فى جحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا (وعلوا) ترفعا عن الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمدانانهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (وورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتى النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهير النعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روى أنه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس (وأوتينا من كل شئ) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شئ ومثله وأوتيت من كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكرا ولا

أقوله فخرا والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه حر الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك أن لايتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى جئت اليك لئلا تمنى مالاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان أكثر ممايزع القرآن (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى ساروا حتى اذا بلغوا وادى النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لان اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تسمى طاحية أومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عماشئتم فسأله أبو حنيفة رضى الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى (ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لايحطمنكم) لايكسرنكم والحطم الكسر وهو نهى مستأنف وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفى الحقيقة نهى لهن عن البروز والوقوف على طريقه لاأرينك ههنا أى لاتحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لايحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لايشعرون) لايعلمون بمكانكم أى لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة [illegible]

[illegible] (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها [illegible]

[illegible] له وضاحكا حال مؤكدة لان [illegible] بمعنى ضحك وأ [illegible] تبسم [illegible]

قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفنى عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فى بقية عمرى (وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بصالح عملى اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال مالى) مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك (لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لا أراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكرانه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لاعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه فى الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع اضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد أو بايداعه القفص أو بطرحه بين يدى النمل ليأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولاذبحنه أو ليأتينى) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف ليأتيننى بنونين مكى الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية (فمكث) الهدهد بعد تفقد سليمان اياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان (غير بعيد) أى مكثا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما لقى فى غيبته (فقال أحطت) علمت شيأ من جميع جهاته (بما لم تحط به) ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوة

والعلوم

والعلوم الجمة ابتلاءله فى علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لايخفى عليه شئ
ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبا) غير منصرف أبو عمرو جعله اسما للقبيلة
أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الاب الاكبر (بنبا يقين) النبأ الخبر الذى له
شأن وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى
ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبا من
الزيادة التى يطابقها وصف الحال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل وكان
أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا
يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبا على تأويل القوم أو أهل المدينة
(وأوتيت) حال وقد مقدرة (من كل شئ) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير
(عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من
ذهب وفضة وكان مرصعا بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشها
لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما
السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم
عن السبيل) أى سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدى الى
معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما ألهمه
وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون
لها (ألا يسجدوا) بالتشديد أى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان
وادغمت النون فى اللام ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان
يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلى وتقديره الا يا هؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه ويا حرف نداء
ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون
ثم ابتدأ الا يا اسجدوا او وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين
جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة إما أمر بها
أو مدح الآتى بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين امر والاخرى ذم للتارك (الله الذى
يخرج الخبء) سمى المخبوء بالمصدر (فى السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر
وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وبالتاء فيهما على وحفص (الله
لا إله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى
سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش
ابناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه (قال) [illegible]
(سننظر) من النظر الذى هو التأمل (أصدقت) فيما اخبرت (أم كنت [illegible] الكاذبين)
وهذا ابلغ من ام كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط [illegible] كان كاذبا

لامحالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبدالله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى امابعد فلاتعلوا على واتونى مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فألقه) بسكون الهاء تخفيفا ابوعمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرا لتدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهى باثبات الياء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون مايقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ماالذى يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة اواتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة والقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (ياايها الملأ انى) وبفتح الياء مدنى (القى الى كتاب كريم) حسن مضمونه ومافيه اومختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به اومصدر ببسم الله الرحمن الرحيم اولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هوتبيين لما القى اليها كأنها لما قالت انى القى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وان فى (الاتعلوا) لاتترفعوا (على) ولاتتكبروا كماتفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملا منهم أن امشوا يعنى اى امشوا (وأتونى مسلمين) مؤمنين أومنقادين وكتب الانبياء مبنية على الايجاز والاختصار (قالت ياايها الملا افتونى فى امرى) اشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالؤها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمرا) فاصلة أوممضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انماتفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب وأصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب أى تحضرونى أوتشيرونى أوتشهدوا انه صواب أى لاأبت الامر الابمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) أى موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولانخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أوأرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى

المصالحة

المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستقرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وانى مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أى بما لان الالف يحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته بشا شا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان الجن فضربوا البنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وأمر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها(٣) ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدونني بمال) بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وفتح [illegible] وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا ([illegible] [illegible] دون)

(٣) قوله فيها اى في الخرزة المار ذكرها [illegible]

الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتانى من الدنيا مالا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدوننى بمال وأنا أغنى منكم وبين ان تقوله بالفاء انى اذا قلته بالواو جعلت مخاطبى عالما بزيادتى فى الغنى وهو مع ذلك يمدنى بمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا أخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كانى أقول له انكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه وعليه ورد فما آتانى الله ووجه الاضراب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدهد محملا كتابا آخر اليهم انت بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبا (أذلة وهم صاغرون) الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا فى أسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبى وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعة أبيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعو اليه وشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) آتى به كما هو ولا آخذ منه شيأ ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أو ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله

(قبل

(قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (فلمارآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) علي واحسانه الى بلا استحقاق مني بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبلوني أأشكر) ليمتحنني أأشكر انعامه (ام أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة فالشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا اي لم تشكر لله نعمة (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا اي اجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله (ننظر) بالجزم على الجواب (اتهتدي) الى معرفة عرشها او للجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل اهكذا عرشك) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كانه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين او لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أي احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامرك أو من كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها أو أوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) سأقيها بالهمزة مكي روي ان سليمان أمر قبل قدومها فبني له

على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما للامره وتحقيقا للنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا له ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف بصره (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهى أجنبية فلا يصح القول بمثله (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) فى النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحده (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذى توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) اى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فانما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه واصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيامن واذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بل انتم قوم تفتنون) تختبرون أو تعذبون بذنبكم (وكان فى المدينة) مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل تسعة انفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن ابى داود رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى

عقر الناقة وكانوا ابناء اشرافهم (نفسدون فى الارض ولا يصلحون) يعنى ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين أو أمر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ماشهدنا) ماحضرنا (مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثانى المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه (وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) بفتح الالف كوفى وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هى تدميرهم اونصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان فى ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولوطا اذ قال) واذكر لوطا واذ بدل من لوطا أى واذكر وقت قول لوط (لقومه اتأتون الفاحشة) أى اتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب او يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم ومانزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهى مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة [illegible] ذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب [illegible] فى قوله بل

أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذ الاصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخبر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فأنجيناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حماد وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آلله خير أما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا تؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد ان تأتى ذلك محال من غيره (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم (أمن جعل الارض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل

خلالها)

خلالها) ظرف أى وسطها وهو المفعول الثانى والاول (أنهارا) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا أن يختلطا (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضر أو الجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أى فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص وما مزيدة أى تذكرون تذكرا قليلا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البر والبحر) ليلا وبعلامات فى الارض نهارا (ومن يرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (بشرا) من البشارة وقد مر فى الاعراف (بين يدى رحمته) قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق) ينشأ الخلق (ثم يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض) اى ومن الارض النبات (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن فى السموات والارض ولكنه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتصل ويقولون ما فى الدار أحد الا حمار وقالت عائشة رضى الله عنها من زعم انه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل أدرك) مكى وبصرى ويزيد والمفضل أى انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجها بل ادّرك عن الاعشى افتعل بل اداركٓ غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء فى الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (علمهم فى الآخرة) أى فى شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم أنهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم انهم يخبطون فى تلك

وضربة فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشئ منه انه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذى لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذى الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لا طريق الى معرفته ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم فى الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام فى اذا وانا فى قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل فى اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير فى كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) اى البعث (نحن وآباؤنا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفى المؤمنون نحن وآباؤنا على هذا ليدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمت المبعوثون (ان هذا الا أساطير الاولين) ما هذا الا أحاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) اى آخر أمر الكافرين وفى ذكر الاجرام لطف بالمسلمين فى ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا (ولا تكن فى ضيق) فى حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير و بالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) اى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أوضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى

ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل) أى افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أى أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ماتكن) تخفى (صدورهم ومايعلنون) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أوانه يعلم مايخفون ومايعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرىء تكن يقال كننت الشيء وأكننته اذا سترته وأخفيته (ومامن غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) سمى الشيء الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء فى العاقبة والعافية ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كانه قال ومامن شيء شديد الغيبوبة الاوقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان مااختلفوا فيه لوانصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون مايسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما انت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) اى مايجدى اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اى يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ماوعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (اخرجنا لهم دابة من الارض

تكلمهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثناعشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفي وسهل على حذف الجار أي تكلمهم بأن وغيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم في آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه ألم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففزع من في السموات ومن في الارض) اختير فزع على يفزع للاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (وكل أتوه) حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتيوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم

الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد فى مكانه اذا لم يبرح (وهى تمر) حال من الضمير المنصوب فى تحسبها (مر السحاب) أى مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمها وهى تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ۞ وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر عمل فيه مادل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه (انه خبير بما يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أى انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) اى بقول لا إله الا الله عند الجمهور (فله خير منها) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها (وهم من فزع) كوفى أى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفى ومدنى وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم فى النار) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤسهم فى النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذى حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شئ) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وان أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدد[illegible] توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى (فانما

يهتدي لنفسه) فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه

﴿سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خيره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (نتلوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول نتلوا (من نبا موسى وفرعون) أي نتلوا عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محقين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم القبطي وأهان الاسرائيلي (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) أي يترك البنات أحياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (ونريد أن نمن) نتفضل وهو دليل لنافي مسألة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصاله أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير أو قادة الى الخير أو ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين

(لهم فى الارض) أى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تقبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون ومابعده وبالياء ورفع فرعون ومابعده على وحمزة أى يرون منهم ماحذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أورفع على الاستئناف (منهم) من بنى اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لاتتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرؤيا أو باخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا (أن أرضعيه) ان بمعنى أى أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه فى اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافى) من الغرق والضياع (ولا تحزنى) بفراقه (أنا رادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك الا لاقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ماوجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى اليها بالقائه فى اليم فألقته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر (فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أى ليصير الامر الى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ماتلده الوالدة وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ (وحزنا) وحزنا على وحمزة وهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطين بتخفيف خاطئين أبو جعفر أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم [illegible]

آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لالي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدا محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة (لاتقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه فانه أهل لأن يكون ولدا للملوك (وهم لايشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لايشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أي انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف أي لابدته أو فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت لتبدي بأنه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعي أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لايشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لايقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لايقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر

بقصة

بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا وذلك قوله (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أى وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدى لانه مال حربي لا انه أجرة على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أى لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس أربعين سنة (آتيناه حكما) نبوة (وعلما) فقها أو علما بمصالح الدارين (وكذلك نجزي المحسنين) أى كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة) أى مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أى مختفيا وهو ما بين العشاءين أو وقت القائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة الا على تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل قيل هو السامري وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين على جهة الحكاية أى اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو بأطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أولانه قتله قبل أن يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسي) بفعل صار قتلا (فاغفر لي) زلتي (فغفر له) زلته (انه هو الغفور) باقالة الذلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا (للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف

تقديره أقسم بانعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف كانه قال
رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد
بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد (فأصبح في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به
(يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال
ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله
بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا للمفاجأة
وما بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان
الاسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي
(انك لغوي مبين) أي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك
والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما
أن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلي
لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى
عليه السلام وقد توهم انه أراد أخذه لا أخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبين (ياموسى
أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس إن تريد) ما تريد (الا أن تكون
جبارا) أي قتالا بالغضب (في الارض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين)
في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى
عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى
المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من
رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك)
أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران
ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة
(اني لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لا تتقدم على الموصول
كانه قال اني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فخرج)
موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يقتله
(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه
الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في
سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج
ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)
أي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين)
ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة

(من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي أولئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ماخطبكما) ماشأنكما وحقيقته مامخطوبكما أي مامطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا (قالتا لانسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شامي ويزيد وأبو عمرو أي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لايمكنه سقي الاغنام (كبير) في حاله أو في السن لايقدر على رعي الغنم أبدتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واغاثة للملهوف روى انه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لاينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولانسقي وفسقى لان الغرض هو الفعل لاالمفعول ألاترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في لانسقي وفسقى فالمقصود هو السقي لاالمسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لانقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الاختلاط بهم فلابد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية لان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لاياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف مايقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لانقص في الشكوى الى المولى (فقال رب اني لما) لاي شيء (أنزلت الي من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ماأنزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار (فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فأتته مستحيية قد استترت بكم درعها وما في ماسقيت مصدرية أي جزاء سقيك روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ماأعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها [illegible] فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) [illegible] وأحواله

مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قال) له (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) اذلا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما أجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا لرعى الغنم روى ان أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها (ان خير من استأجرت القوى الامين) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشي خلفه وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على ان أمانته وقوته أمران متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى في دينه الامين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر (قال انى أريد أن أنكحك) أزوجك (احدى ابنتى هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك (على أن تأجرنى) تكون أجيرا لى من أجرته اذا كنت له أجيرا (ثمانى حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فاتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعده من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بينى وبينك) يعنى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أى أى أجل قضيت من الاجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأى نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أى وشل

شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه فى أيهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم فى الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى لانه استعمل فى موضع الشاهد والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا ان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التى مرت (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار بأهله ليشترك واهمه فى لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج (أن يا موسى) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر نارا دلته على الانوار لانه رأى النور فى هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطت به جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ماسأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وأن ألق عصاك) ونودى أن ألق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع فقيل له (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الا[illegible] أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك فى جيـ[illegible]

(تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك
من الرهب) حجازى بفتحتين و بصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف
والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى
الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى
لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك
بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك
مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار
معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده
اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه
عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر
جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب
أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه
سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك فى جيبك
على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض فى
أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فى طه
أدخل يمناك تحت يسراك (فذانك) مخففا مثنى ذاك ومشددا مكى وأبو عمرو مثنى ذلك
فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان
بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون
وملائه) أى أرسلناك الى فرعون وملائه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين
(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) به بغير ياء و بالياء يعقوب (وأخى هرون
هو أفصح منى لسانا فارسله معى) حفص (ردأ) حال أى عونا يقال ردأته أعنته و بلا همز
مدنى (يصدقنى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقا لى وغيرهما بالجزم جواب لارسله
ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت
دعواه لا ان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هو أفصح منى لسانا فارسله وفضل
الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان
(انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك بأخيك)
سنقويك به اذ اليد تشد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على
مزاولة الامور (ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء
(فلا يصلون اليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أى لا يصلون اليكما بسبب
آياتنا وتم الكلام أو فنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أى اذهبا
بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما

الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى)
أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر
وليس بمعجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أى
كائنا فى زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله
للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما
تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين
ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة
بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث
عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى
أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما
وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من إله غيرى) قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده أى ما لكم من إله غيرى
أو هو على ظاهره وان إلها غيره غير معلوم عنده (فأوقد لى يا هامان على الطين) اى اطبخ
لى الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان الطين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة
بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة اذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على
الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصرا
عاليا (لعلى أطلع) أى أصعد والاطلاع الصعود (الى إله موسى) حسب أنه تعالى فى
مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له
إلها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت لكم من إله غيرى ثم أظهر
حاجته الى هامان وأثبت لموسى إلها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا
موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى إله موسى روى ان هامان جمع خمسين ألف
بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه
فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر
وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى
الارض) أرض مصر (بغير الحق) أى بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو
المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائى
والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلى وخلف [illegible]
(فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام المفخم الذى دل على عظمة شأنه

شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن فى البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) أى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) ألزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم طرف للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذى يبصر به الاجساد يريد آتيناه التوراة أنوار القلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وارشادا لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربى) وهو المكان الواقع فى شق الغرب وهو الذى وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أى كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحى اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى فى ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أى طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه وتتلوا فى موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير فى ثاويا (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان كانت من أعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الاولى

امتناعية

امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ✲ فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه ✲ قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال فأدخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أى كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) فى موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفى أى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر (وقالوا انا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو فى التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (ان كنتم صادقين) فى أنهما سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أى لا أحد أضل ممن اتبع فى الدين هواه وبغير هدى حال أى مخذولا يخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب (واذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله

أنا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايماناقريب العهد وبعيده فاخبر وابأن ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أوبصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعدنزوله أوبصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذاسمعوا اللغو) الباطل أوالشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بأن تقابل لغوكم بمثله (لانبتغي الجاهلين) لانريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لاتهدى من أحببت) لاتقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدى من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يامعشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فماتريد ياابن أخي قال أريد منك ان تقول لا إله الا الله أشهد لك بها عند الله قال ياابن أخي أنا قد علمت انك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذى أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذاضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجبى اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أى تجلب وتجمع (ثمرات كل شئ) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (رزقامن لدنا) هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق أومفعول له أوحال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لايعلمون) متعلق بمن لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب بأهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل أى في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار

كملاد

كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكنى أى لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) فى كل وقت (حتى يبعث فى أمها) وبكسر الهمزة حمزة وعلى أى فى القرية التى هى أمها أى أصلها ومعظمها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعنى محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أى القرآن (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى وما أهلكناهم للانتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) وأى شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهى مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم (أفلا تعقلون) ان الباقى خير من الفانى وخير أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى الجنة فلا شئ أحسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أى رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله أو فى على وحمزة وأبى جهل أو فى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أى أبعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد فى عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أى الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغوينا) أى دعوناهم الى الشرك وسولناه لهم فى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف فى (كما غوينا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا [illegible] نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا [illegible] وتسويلا

فلا فرق اذا بين غيناوغيهم وان كان تسويلنا داعيالهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للشركين (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في العجز عن الجواب (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده (وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أي وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم أن يختاروا على الله شيأ ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفي اختيار الخلق تقرير الاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله بريء من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن تضمر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا إله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبلة الا هي (له الحمد في الاولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي

صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أريتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل اى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ماتبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) اى لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن أن لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ أدخل فى مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعنى نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من ألوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشئ لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم او من البغى الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده اوزاد عليهم فى الثياب شبرا (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا وان واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به اومفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب أنها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) اى

المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لاتفرح) لاتبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا الامن رضى بها واطمأن وأمامن قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لايحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبغى (ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى على استحقاق لما فىّ من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل مانظر أحد الى نفسه فأفلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادّعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوّة) هو اثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أولم يعلم فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يسئلون أو لا يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أو لا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه فى زينته) في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلىّ والديباج وفى زينته حال من فاعل خرج أى متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة فى اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت

والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطى قارون
(ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى
وفى التبيان فى اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله
خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى ثواب الله خير (الا
الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ماقسم الله من القليل عن
الكثير (فخسفنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو
يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل
ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى
يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه
بنفسها فترفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم
عيد قام موسى فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير
محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان
بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة
ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى
وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة
لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه
ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الركب
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه
يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى لو استرحمنى مرة
لرحمته فقال بعض بنى اسرائيل انما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه
(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان
من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من
عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا
(بالامس) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة
(يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وى منفصلة عن كأن عند
البصريين قال سيبويه وى كلمة تنبه على الخطا وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعنى
ان القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ماأوتى قارون وتندموا (لولا أن
من الله علينا) بصرف ما كنا نتمناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب
وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وى كأنه لا يفلح الكافرون) أى تندموا ثم قالوا [illegible]
الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى [illegible]

وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبرتلك والدارنعتها (للذين لايريدون علوا في الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أوكبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أوقتل النفس أودعاء الى عبادة غيرالله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض (والعاقبة) المحمودة (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر في النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاد له شأن ومرجع له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعني نفسه وماله من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الا رحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهي والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الا اياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء في خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

(سورة